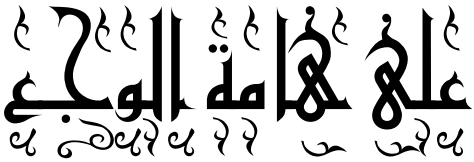
على هامة الوجع

عنـوان الكتـاب: علـــى هامـــة الوجـــع
الموضـــوع: مجموعـــة قصصـــية
التـأليـــف: عبـده حسـين إمـام وآخـرون
الإخـراج الفنـيّ: عمـــرو ســـالم ســـواح
تصـميم الغـلاف: فـــارس إيهـــاب
رقـم الإيـداع: ٢٦٢٨٩ /٢٠١٩
التـرقيم الـدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٣٥-١٧٥-٠
الناشر: زحمة كتاب بالتعاون مع اسكرايب للنشر والتوزيع
اسكرايب للنشر والتوزيع :Facebook Page
Email:scribe20199@gmail.com
Tel: 00201005079256

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار
اسكرايب للنشر والتوزيع

كل الحقوق محفوظة
لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

على هامة الوجع

مجموعة قصصية

عبده حسين إمام وآخرون

فهرس

خاطرة : اردتمونى دمية ٩

آلاء سليمان ٩

دخان وقهوة مرة ١٠

دلال أحمد الدلال ١٠

وفاء بلا حدود ١٤

حنان عبد السلام عطوان ١٤

قلب منسي في المحيط ١٨

وسام محمد دبليز ١٨

مسبَحةُ جَدِّي ٢١

صبا منذر حسن ٢١

عروسة بائع الجرايد ٢٥

عبير سلامة ٢٥

وسنلتقي رغم الفناء ٣٠

إيمان سمير زغلول ٣٠

مطاردة ذات ٣٤
إيمان مصطفى أحمد خليل ٣٤
على هامة الوجع ٣٩
رنا العسلي ٣٩
"قبس من نور" ٤٤
زينب السيد "زهرة الأوركيد" ٤٤
شقة رقم ١٧ ..... ٤٧
محمود اللقانى ٤٧
خاطرة :أصرخ ٥٤
رشا يوسف ٥٤
سجين الكهف..... ..... ٥٥
عبد الرحيم خير ٥٥
الغرفه المظلمه ٥٩
دينا الفخرانى ٥٩
المكافأة ٦٦
جمال الشمرى ٦٦

(عرس الذئب) ٧٥
مرام مرام ٧٥
زهرة برية ٨٠
منى عز الدين ٨٠
" أَعْطِنِي حُرِّيَّتِي " ٨٧
إستثنائية الفصول ٨٧
(لوحة شطرنج) ٩١
زهير بوعزاوى ٩١
وتبقى الطفولة ١٠١
ربى عادل هابيل ١٠١
وأد ١٠٦
أسماء محمد خضر ١٠٦
مشهد مغلف بالدموع! ١١٢
رمضان إبراهيم بشير ١١٢
لعنة أبيدوس وبرديه فينوس ١١٤
نورا محمد عطية أحمد غنيم ١١٤

لا تدوم ١٢٢
محمد نجيب ١٢٢
عين الحياة ١٢٧
وسام محمود عبد الحميد ١٢٧
نحيب الجمر ١٣٦
عبده حسين إمام ١٣٦
الجاكت ١٤١
علي فتحي ١٤١
خاطرة:مملكة غابرة ١٤٤
فايزة أحمد ١٤٤

خاطرة : اردتمونى دمية

آلاء سليمان

أردتموني دمية فلبَيتُ مَطلَبَكم ..ثم أنكرتم عليَّ ما كان رغبتكم

فعدتُ متمردة حتى جئتم بسياطكم وجلدتموني ..فانصعتُ لكوني دمية للذئاب لينهشوني ..لَقَنتموني القسوة حتى اكتسبتها ...ولم تظهر قسوتي إلا عليكم... فكسرتموني...حاولت جَبر الكسور لكنها أَبَت أن تلتئم ...فبقيتُ على حالي دمية ..أو هكذا ظننتم فأنا جثة ..والجثة ميتة... وانتهت المسرحية.

*****

دخان وقهوة مرة

دلال أحمد الدلال

جلس في نفس المقهى الذي يجلس فيه كل يوم... أشعل سيجارته وطلب قهوته السادة وجلس يكتب ككل يوم رسالة لحبيبته ،تجري سطورها اللاهثة لتنطق بأنَّاته ورغبته الملحة في لقائها ...وقبل أن يجف مدادها يكتب غيرها... رسائل متعددة والمعنى واحد؛ الطلب واحد؛ الرغبة واحدة عودتها فقط... تمنى أن ترد على إحدى رسائله ،ولكن هيهات تسافر الرسائل ولا يأتي لها رد ولا يُسمع لها صدى، يرتشف فنجان القهوة ،وقلبه يصرخ بداخله ينزف ألما وحزنا لفراقها، ولا يدري أحدا به و يسمع أنينه، وبينما هو غارق في الكتابة ودخان سيجارته يكتب حروف أسمها في الهواء ،فيرى نفس الفتاة التي يراها كل يوم تجلس على الطاولة المجاورة له، نفس نظراتها الحزينة وكأنها تطارده ،يعود فينظر في الجريدة بعد أن كتب رساله محبوبته، ونسى انه بالمقهى ونسى كل مَنْ حوله وتحوّل المكان حوله لصحراء موحشه ممتلئة بالأفاعي، فيقرر الفرار حيث أتى، ليعود لمنزله ويجلس على فراشه لتعود به الذكريات ويتذكر لقائه الأول بها، كان في نفس " الكافيه " بينما تجلس هي مع صديقاتها يجلس هو مع أصدقائه، يرمقها من بُعد دون أن يختلج له جفن، وباتت عيناه مقيدة بحركاتها وسكناتها، مما جعلها تنتبه له، وبابتسامة رقيقة غازلته عيناها وبرقة متناهية رفعت خصلة من شعرها الأسود، انسدلت فوق جبينها كأنها تحييه، ثم خرجت من " الكافيه " وتركت صديقاتها... فخرج خلفها فأسقطت حقيبتها... أسرع وتناولها...مدت يدها لتأخذها وبنظرة كالسهم أصابت قلبه، وبدهاء الأنثى تعمدت أن تلمس يده، ليشعر برعشة تنتابه، وخفقان قلب لم يعرف الحب مكانه من قبل، وبنبرات صوت عذب رقيق، شكرته وكأنها تدعوه للتعرف عليها، وهو كالمذهول

تسمر مكانه محملقا بها وبات عقله مصلوبا لا يدري ماذا يفعل، فأسرع خلفها كالمسحور لا يدري مصيره المجهول... فالحب قدر يأتينا غفلة يجذبنا لما يهوى دون أن نشعر فنسير في طرقات كتب لنا أن نخطوها، وكأننا نسير بعقول مكبلة بأحلام وردية إما أن تاخذنا لجنة أبدية أو تأخذنا لجحيم بلا نهاية، إما أن نشعر به ونتالم بشراراته، أو نتلذذ بهذا الألم ونعيش عمرا نجلد أنفسنا بسياط الحب الكاذب واهمين...، توالت لقاءتهما بعد أن سقط في شباكها كصيد العنكبوت فأصبحت كل حياته، ترك من أجلها أصدقائه وأهله وانحصر تفكيره في كيف يسعدها وينال رضاها؟، أما هي فقد كانت فتاة مدللة تعودت منذ صغرها أن يلبي الجميع طلباتها... كم حطمت من العاب أحضرها لها والدها لأنها تمل سريعا وبكاؤها يمزق قلبه فبعد موت والدتها لم يعد لديها الا والدها؛ رجل أعمال مشهور ثري يلهث خلف المال... الحياة عنده عمل ثم عمل ثم عمل، والبيت بالنسبة له فندق يأوي اليه ليلا لينام ساعات قليله ليعود في الصباح للعمل وتتوالى أيام متشابهة ولا يدرى عن ابنته شيئا سوى تلبية طلباتها المادية ويراها في المناسبات الخاصة وأحيانا تجمعهم وجبة عشاء يتبادلان خلالها بضع كلمات لا تخلوا من طلباتها الغير منتهية، أصبحت حياتهما سلسلة من اللقاءات ربطت قلبهما بشريط من حرير... جميلة رقيقة اغدقت عليه من حبها وحنانها، حسده عليها كل اصدقائه أصبح يبخل على نفسه في سبيل شراء هدايا ثمينه تليق بها، فمحبوبته الجميلة تعشق الهدايا الثمينة فصار يعمل أوقاتا اضافية ليستطيع أن يوفر لها المزيدمن الهدايا بمناسبة وغير مناسبة فالسبيل اليها صعب، كيف يصل من بالأرض لمعانقة نجوم السماء؟ كيف يستطيع الغريق أن ينجو وهو يحلم بالاعماق؟ أخذته عروس البحر جذبته لبحر الأساطير في أعماق المحيط عاشا معا داخل إحدى صدفاته، غابا عن العالم نسيا العوده للواقع... أحيانا يكون الخيال قطعة من السكر تُحلي مرارة الواقع، فالفارق المادى بينهما كان هو الشاغل الوحيد لتفكيره ولكن حبه لها جعله ينسى كل شيء، ويعدو خلف حلمه خلف حبه فيصبح مجنونا

يراها في كل شيء حوله، يراها في وجوه كل البشر، يحدّثها في غيابها وكأنها موجودة، لم يعد يستطيع الحياة بدونها وهو يعلم أنها تحمله داخل قلبها... ذهب لها وأخبرها أنه لا يستطيع الحياة بدونها ويتمنى الزواج منها لتكون أم أولاده... لم تمانع وأظهرت فرحة كبيرة ولكنها طلبت منه فرصه لحين عودتها من الخارج لانها ستسافر مع والدها لمده أسبوعين وعندما تعود ستكون قد اخبرت والدها ليتقدم لها، سافرت وأظلمت الدنيا من حوله، خلت من ضوء القمر ومن سطوع الشمس، وظل داخل حجرته يحاول الاتصال بها ويكتب لها رسائل وامتلأت الحجرة بدخان السجائر حتى كاد يختنق من غيابها، وظل يحدثها وكأنها معه لماذا لا تردين على مكالماتي ورسائلي... أين أنت يا عروسة البحر، تركتِ البحر وتركتِنِي كنت أحلم أن تأخذيني للاعماق فلا أعود للأرض، غابت عيونك وحل الظلام أيام تتشابه في غيابك، كم هي طويلة مملة، تعبتُ من الانتظار، قست عليَّ الحياة، دمرني فراقكِ، اه لو تعلمين بمدى وجعي وجرحي، اه لو تعلمين كم مزق غيابكِ قلبي... مرَّ اسبوعان... ثلاثة ..شهر كامل ولم تعد، ولم يصل منها خبر، ولم تصل منها رسالة، خشى أصحابه عليه من الجنون، أخذوه رغما عنه الى المقهى، فبدا يعود لحياته منتظرا إياها يجلس على نفس الطاولة يطلب قهوته وأمامه كمية كبيرة من أوراق، يكتب رسالة لها وهو يرتشف قهوته المرة وبيده سيجارة قبل أن تنطفئ يشعل غيرها، يكتب كل يوم رسالة تسافر و لا يأتي لها إجابة، ومازالت تلك الفتاه تجلس بعيدا عيناها تعشقه فهي تعلم قصته، تحلم أن تكون أميرته، تقدم حياتها له دون مقابل لا يعنيها المال أو الجاه، تريد قلباً يعشقها فقط، كما عشق حبيبته التي لم تعرف الحب يوما، بل عاملته كما عاملت العابها، مزقته ومزقت كل روابط الحب بينهما ولكنه مازال ينكر أنها تركته ومازال ينتظرها لم يعترف أنها خدعته، إنه كان مجرد لعبه انتهت مهمتها وحين ملت منها كسرتها ولم تأبه لقلب كُسر تحت أقدامها، ولا نزيف جُرح لم يجد طبيبا يوقفه فظل ينزف حتى كاد الموت أن يأتى مسرعا لينهى نزيف الألم بداخله... لم يعترف وظل يكتب رسائله حتى

عرف الجميع قصته وأصبح اسم يتردد بين قصص العشاق لم يعد مجنون ليلى وحده بل أصبح هناك مجنون آخر لم يعرف يوما أنه خُدع إنها أصبحت مجرد سراب إنها لن تعود له حتى أنه لم يعد يعلم كم من الوقت مضى على غيابها، فلنسأل تلك الفتاة كم من الوقت أفناه.لانه يقاس بالوقت الذي افنته فى مراقبته، بقلب يحلم ان تكون بطله حكايته ترد على رسائله ومكالماته .تشاركه حلمه،تحول حلمه لواقع ولكنه ولكنه لايشعر بها، بل يرتشف قهوته المره كمراره ايامه ويرسم دخان سيجارته صوره مهزوزه لحبيبته فملامحها بدأت تتلاشى كالدخان.

❊❊❊❊❊

وفاء بلا حدود

حنان عبد السلام عطوان

أحيانا نفقد الثوابت نتشبث بالأفرع لتهوي بنا إلي سحيق الأعماق نصرخ فزعا نتلفت حولنا نستعيد وعينا لنعلم أن الحياة ما هي إلا محطات تنقلنا محطة تلو الأخري فنختار الوفاء والتضحيه لمن يستحقون .

علاء شاب في العقد الثالث من العمر كله حيويه وطموح تتجلي أحلامه أمام عينيه فيخطو خطوات ثابته تجاه تحقيقها ..

إستيقظ يوما علاء من نومه ليجد أمامه وجها يطل عليه بإبتسامة مشرقه تبعث الأمل في نفس من يراها نظر إليها متعجبا وهو يتسأل بداخله تري من هذه الفتاه وكيف دخلت علي غرفتي ؟! قطعت عليه حيرته بدنوها منه وهي تردد هل ستأخذ حمامك اولا فقد جهزته لك إلي أن أحضر لك فطورك ؟ لازالت علامات الحيره والتعجب تكسو وجهه فأومأ برأسه إيجابا وتركها متجها إلي الحمام .

أسرعت رحمه كي تنظم الغرفه قبل خروجه ثم توجهت إلي المطبخ كي تحضر الإفطار ثم حملت الصينيه وعليها الإفطار متوجهه بها إلي الغرفه وإنتظرت حتي خرج من الحمام وجلس علي الاريكه وضعت امامه الطعام ووقفت تنظر إليه وعينها تفيضان حباً له ومدت يدها وبدأت تطعمه كما الطفل الصغير وهو ينظر إليها مشدوها لا يملك غير النظر اليها وعقله لا يصدق ما يدور معه .. نظر إليها متسألا هل لي أن أعرف من أنت ؟ نظرت إليه قائله أنا رحمه سكرتيرتك ومن تقوم بكل أعمالك ثم أنهت كلامها علي الذهاب الآن لأتم باقي ما وكلتني بعمله..

أسرعت الخطي خارجه من الغرفه و قد إغرورقت عيناها بالدموع وتوجهت إلي المكتب و شرعت بالإتصال بمقر العمل لتوجيه أوامرها للقائمين بالعمل هناك لإتمام أعمالهم وإبلاغها بنتائج تلك أعمالهم .

في هذه الأثناء كان علاء يردد بداخله يا لها من فتاة جميله كيف لي ألا أتذكرها ثم ضحك من نفسه وبدأ بالنظر من خلف شرفة غرفته إلي حديقة منزله ثم توجه بنظره للسماء كم هي صافيه وقد ظهر قرص الشمس يكتمل يتوسطها يالا روعة المنظر .

دق هاتف رحمه أسرعت بالرد عليه فقد كان المتصل سمير .. ألو سمير صباح الخير كيف حالك ؟

سمير : صباح الخير عزيزتي الحمد لله كيف حالك انت وكيف تسير الأمور معك ؟

رحمه : بخير حال ثم أردفت ونبرة الحزن تعلو صوتها لا يزال الأمر كما هو لا جديد .

سمير : لا زلت متحيرا من أمرك كيف تقبلين بهذا الوضع والحياة أمامك لكي أن تحييها كيفما تشائين فلم كل هذا ؟

رحمه: بعصبيه شديده يغلبها الألم لما التحير ف علاء يستحق كل شئ حبه يستحق التضحيه بكل ما في الحياه ثم أكملت بعد أن مسدت دموعها بيديها هو يحبني يملؤ حياتي بهجة وسعاده هو الحياة لي .. كيف لي أن أقابل حبه بالأنانيه وأتركه الآن وهو في أمس الإحتياج إلي ؟

سمير: رحمه أرجوك فكري جيدا فيما أنت مقدمه عليه فأنت يوما معه زوجه وآخر خادمه و سكرتيره أيام فتاة ليل كيف تقبلين الحياة علي هذا النحو وأناااا... .... قاطعته رحمه بحده إلي هنا وتوقف ليس من حقك التدخل في حياتي إلي هذا الحد علاء هو كل حياتي به وله أحيا حتي وإن لم يكن لمرضه علاج فلن أتخلي عنه أفهمت .. لو تخلي العالم بأسره عنه أنا لاا..

سمير: إهدئي من فضلك انا في طريقي إليكم أترغبين بشئ أحضره لكما معي .

رحمه: شكرا لك . أغلقت الهاتف وخرت مكانها تجهش بالبكاء وامامها شريط ذكرياتها مع علاء اول لقائهما كم كان شاب وسيم جذاب ذكي جداً لفت إنتباهها إليه بمحاولاته المتكرره بالتقرب إليها فقد كانا يعملان سويا بإحدي شركات الإستيراد والتصدير دق قلبها له واعترف كلا منهما للأخر بحبه وتم زواجهما وبدأت طموحاته في إنشاء شركة خاصه بهما وساعدته في العمل معه به حتي أصبحت الشركه من أكبر الشركات ثم بدأت تظهر عليه أعراض مرضه الذي لم يرحمه رغم صغر سنه والتي بدأت بفقدان الذاكرة الذي أثر على آداء اليومي ..صعوبة أداء لمهامه اليوميه المعروفه ..

مشاكل في اللغه ...

التيه في الزمان والمكان ..انخفاض القدرة على الحكم ..مشاكل حتي في التفكير البسيط... نسيان مكان الأشياء الخاصه به وبالعمل رغم انه هو من يقوم بوضعها ..

تغيرات في حالته المزاجيةو السلوكيه أصبح كسولا تاره وتارة أخري عصبي بلا أسباب .. لم يكن هناك حلا لما طرأ عليه سوي بعرضه علي اكثر من طبيب وذلك بعد معانة في إقناعه وقد كان أصعب ما يكون تشخيص مرضه لانه شاب ولم يخطر ببال أحد أن يكون ما يعاني منه هو الزهايمر حتي بدأت حالته في التدهور والوصول لما هو عليه الآن .. نكست رحمه رأسها وقد غلبتها دموعها .. أفاقت علي جرس الباب يدق أسرعت لتفتح باب الشقه فقد كان سمير صديقهما ..

مرحبا سمير .. مرحبا رحمه مابك ولما الدموع بعينيك والحزن يكسو وجهك هكذا ؟؟

رحمه: لا شئ هو اليوم أفضل حالا ولكن كما تعلم ليس هناك ثبات لحالته .

سمير: عليك أن تفكري في هذا الامر جيداً مع مرور الوقت تتدهور حالته وتصبح أكثر صعوبه ولن تستطيعي التحمل يجب ادخاله مصحه للعلاج هناك يجد الرعايه الصحيه الموائمه له أرجوك فكري جيدا قبل أن تجيبي .

رحمه: بدون تفكير لن أتخلي عنه فليس هناك في العالم من يستطيع رعايته مثلي ففي اللحظات التي يسترد وعيه فيها يشعرني بأني ملكة متوجه علي عرش قلبه وحياته وتلك اللحظات كفيله بأن تجعلني أضحي ولا أتخلي عنه علاء هو حياتي وبدونه لا حياه أفهمت .. أفهمت .

سمير: لك ما شئت وهم بالإنصراف لكنه تذكر ما طلبته منه رحمه دس يده في جيبه وأخرج دفتر الشيكات وفتحته وكتب لها المبلغ الذي طلبته منه حتي تستطيع أن تعود بشركتهم مثل ما كانت قبل مرض علاء .. أعطاها الشيك ثم إنصرف .

توجهت إلي غرفة علاء ووقفت أمامها ثم فتحتها ودنت منه كان يقف مكانه أمام الشرفه لا يعلم شئ عما يدور حوله شارد الذهن يحملق ف السماء متابعا لحركة السحب وهو في عالمه أما رحمه فقد كان هو كل عالمها الذي تحياه وتحيا به .

❊❊❊❊❊

قلب منسي في المحيط

وسام محمد دبليز

جالسة على منصة الحياة، يبرق في عينيها وميض خاطف من الدموع ،جالسة تتأمل السنوات الثمانية والتي أمضتها في كرسيها المتنقل ،لاشي يدفعها إلى الحياة إلا خيالها المتنقل في أديم الأحلام

جالسة على كرسيها المتنقل تحدق في الجبال المتربعة قوية صامدة ،والتي تطل من نافذة المنزل على السهول الخضراء المسطرة بسطورٍ متناسقة .

وكالشهاب الملتهب في السماء، يقطع صراخ أخيها في الغرفة المجاورة قطار الأفكار في رأسها.

ماذا عساها تفعل ؟كيف تحرك كرسيها التعيس للوصول إلى أخيها في الغرفة المجاورة ؟هي عاجزة عن الحراك بالكاد تحرك الكرسي ووالدتها في السوق ،ووالدها في العمل ولا أحد في المنزل .

وعندما ارتفع صراخ أخيه وضعت يدها المشلولة على عجلة الكرسي فشعرت بألمٍ شديد انتقل إلى عمودها الفقري ،توقفت قليلاً،لكن ذلك الصوت الباكي دفعها للمحاولة بكل إصرار .

ومرة أخرى ازداد الألم في عمودها الفقري حاولت الإسترخاء دون جدوى ،حاولت تركيز أفكارها على أخيها لكنها كانت تشعر بيدها تتقطع قطعاً قطعاً مع كل حركة ،هى غيث الدموع غزيراً ممزوحاً بالعذاب ،وضعت يدها مرة أخرى على العجلة ،حاولت أن تحرك الكرسي وهي تصرُّ بأسنانها ضد الألم الحاد.

تمنَت لو تنشق الأرض وتبتلعهما، أرادت الراحة الأبدية لجسدها، شعرت كأن جرّاحا

يقطع يدها قطعة تلو الأخرى لينتقل بلا شفقة إلى أنحاء جسدها ،أحست بظهرها النحيل يكاد ينقسم إلى قسمين .

كم صرخت حتى وصلت إلى حافة الباب ،مدت يدها المرتجفة كيمامة صغيرة من زمهرير البرد ،مدت يدها ،أمسكت حافة الإطار الخشبي ودفعت نفسها للأمام ،لترى أخاها عالقاً على حافة شرفة المنزل الحديدية .

كان الألم يدثر وجهه ولكن الخوف الذي كان يسكن قلبه من السقوط كان أقوى من عجزه عن حمل جسده .

تجمدت للحظة ،سيل من الأفكار أمطرها ،كيف ستصل ؟!وإن وصلت لن يصمد أخوها حتى تصل إليه .

عندما صرخ مرة أخرى تدفقت مشاعرها عبر تشعبات أوردتها إلى قلبها.

دفعت الكرسي إلى الأمام وهي ترتل في أعماقها كلمات الرحيم آه لو أنها تجد أحداً يساعدها ،أو يرى أخاها المتشبث بالسياج الحديدي ولكن جهة الشرفة تطل على أرض خضراء لا يسكنها أحد، سمعت صوت الجرس ،توقفت قليلا ،لن يصمد أخوها وهي لن تصل وإن وصلت لن تستطيع إنقاذه ،الأفضل أن تفتح الباب ،وعندما قررت التراجع صرخ أخوها مستنجداً ،المسافة بينها وبين الباب بعيدة... سيسقط و...لا ستحاول الوصول إليه والله سيساعدها .

وضعت يدها على عجلة الكرسي وبدأت أنفاسها تزداد دون أن يصل إليها الأوكسجين اللازم .

سمعت صوتاً في الأسفل ،لا بد أنه الشخص نفسه الذي كان يقرع الجرس ،كانت تسمع صوته صارخاً:أرفع قدمك... هيا ..القدم اليمنى...

استرخت قليلاً وابتسامة أمل ارتسمت على صفحة وجهها المتعرقة إن سقط سيمسك به ذلك الرجل ،وبلحظة خاطفة أفلت أخوها يده اليسرى مطلقاً جواد ألامه .

صرخت باكيةً :لا لن أدعه يموت... حتى ولو كلفني ذلك حياتي ..هو غير معاق أما أنا فلا فائدة مني ،ووضعت يدها الحمراء على الكرسي ،شاهدها الرجل عندما أطلت على الشرفة صرخ بها ماذا بك أيتها الحمقاء ،،،هيا ساعديه ؟.

مدت يدها لكنها لم تستطع إمساكه ،دفعت عجلة الكرسي ،كان الحديد يتمايل والشاب يرجمها بكلماته القاسية ،ارتمت بجسدها على الحديد فازداد الثقل عليه وأخذ يتمايل أكثر .

تذكرت أنها طلبت من والدها إصلاحه ،أمسكت بيده والألم يفرم قلبها ويسحقه كزهرة ربيعية تحت صوان أقدامه .

أرتفع عويلها عبر حريقها الممتد بلا هوادة ،رفعته لقد ساعدها القدوس فأدركت أنها ليست في محيط النسيان ،أدركت أن قلبها الراجي لم يكن منسياً. تلاشى للحظة مسار الألم الذي حفر طريقاً عميقاً في جسدها .

صمدت رغم الوجع المتعرش صمد الصغير ،لكن شيئاً واحداً لم يصمد ،ألا وهو الحديد.

انتفض قلبها ووقفت أفكارها على أرصفة العتمة ،وأوشكت على السقوط .

لكنها أحست بيدٍ قوية تساعدها كانت يد ذلك الرجل لقد جاءت والدتها في اللحظة الأخيرة .

أغمي عليها ،وعندما استيقظت كان الجميع حولها ،تسألت :هل ما حدث حقيقة أم حلم؟.

تسكعت في دهاليز ذاكرتها للحظة وعادت وهي تحمل بحراً من التساؤلات ،حركت أصبع قدمها ،نعم هي تشعر بها ..حركت أصبع قدمها... نعم هي تشعر بها... حركت يدها... نعم لقد تسللت الروح إليها من جديد.

❋❋❋❋❋

مسبَحةُ جَدِّي

صبا منذر حسن

*لاْ أَحَدَ يَأْخُذُ مَكَانَ أحَدٍ *

هَذهِ الجُملَةُ المُعتَادَةُ الَّتِي كَانَ يَقُولُهَا لِيْ جَدّي وَهُو يَجْلِسُ مُسَبّحاً اللَّهَ بِمَسبَحتِهِ الجَمِيلَةِ الأَحجَارِ، فَقَدْ كَانَ جَدّي رَجُلاً حَكِيماً يَعلَمُ أَنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ سِرَّهُ فِي أَصغَرِ خَلقِهِ، فَكَانَتْ تَتَرَدَّدُ دَائِماً عَلى مَسامِعِي كَلِماتُ جَدّي بِأَنَّ كُلَّ شَخصٍ مَهمَا كَانَتْ مَكَانَتُهُ صَغِيرَةً قَادِرٌ عَلى أَنْ يُضْفِي جَمَالاً وَرونَقاً عَلى الحَياةِ، وَمازالَتْ كَلِماتُهُ تَرِنُّ فِي أُذُنِي كَنَايٍ يَخْتَرِقُ قُبْحَ الحَياةِ وَحُزنَهَا لِيعُمَّ فِي الأذنِ جَمَالاً وَ صَفاءً، فَلمْ أنْسَ يَوماً جُمْلتُهُ الَّتِي اِستَقبَلنِي بِها عِندَمَا كُنْتُ عَائِداً مِن المَدرسَةِ وَأنَا حَزِينٌ لأَنَّ المُعَلّمةَ قَد أَوكَلتْ إِليَّ شَخْصِيَّةَ حَارِسِ المَلِكِ لِلمُشَارَكَةِ فِي المَسرَحِيَّةِ المُقَامَةِ فِي المَدرسَةِ، أَتذكَّرُ فِي يَومِها أنَّ جدّي كَانَ يَجلِسُ عَلى كُرسِيِّه الخَشبِيِّ يُسبّحُ رَبَّهُ حَامِلاً بِيدِهِ مَسبَحتَهُ الَّتِي طَالَمَا كَانَ يَحمِلُها وَ يُحرِّكُ أَحجَارَها واحِدةً تِلوَ الأُخْرَى فَلمَّا رَآنِي حَزيناً كَئِيباً نَظرَ إِليَّ بِحنانٍ عَظِيمٍ عَبقَ فِي قَلبِي و فَتحَ يَدَيهِ لِيستَقبِلُني حُضنُهُ الدَّافِئ وَ يمْسَح الحُزنَ عَن جَبهَتِي قَائِلاً:

- مَا الَّذي أَحزَنَ عَينَيْ صَغيرِي الجَمِيلِ ؟!

فِي حِينِها كَانَ سُؤالُ جَدّي كَافِياً لَأن يُنزِلَ الدُّمُوعَ الغزِيرةَ عَلى وَجنَتَيَّ فَانْبَرَيْتُ قَائِلاً وَ الدُّموعُ قَد أَغشَتْ على عُيونِي:

-إِنَّنِي حَزِينٌ لأنَّ المُعلّمةَ لَم تُوكِل إِليَّ شَخصِيَّة المَلِكِ لأَلعَبَهَا على المَسرحِ ؟!

فَردَّ جَدِّي وهُو يَبتَسِمُ اِبتِسامةً صَغِيرةً قَد أَثارَتْ تَساؤُلاتٍ عَميقةً فِي قَلبِي:

-ولكِنَّ المُعلِّمةَ لَربَّما وَجدَت فِي شَخصِيَّتكَ صِفاتٍ فِيها الكَثيرُ مِن الصَّلابَةِ والقُوَّةِ فأَوكَلت لَكَ شَخصيَّةَ الحَارِسِ.

-فاندفعت قَائِلاً: لَكن لِماذا لَمْ أَكُنْ المَلكُ أَنا ؟!

- فَقالَ جَدِّي: إنَّ مَهمَّةَ الحَارِسِ مُهِمَّةٌ جِداً فَهو الَّذي يَحمِي المَلكَ و لا يُمكِنُ أنْ تَكتَمِلَ المَسرَحِيَّةُ مِن دُونِ وُجودِ الحَارِسِ كَما أَنَّها لَن تَكتَمِلَ إلا بِوجُودِ المَلِكِ فَكُلُّ شَخصٍ قَد وُضِعَ فِي مَكانِهِ المُناسِبِ وَلَنْ يَستَطِيعَ أَحدٌ أنْ يَأخُذَهُ.

فِي تلكَ اللَّحظَةِ كَانتْ تَشُدُّنِي كَلِماتُ جَدِّي الَّتي تَلتَفُّ فِي بَعضِ اللَّحظَاتِ بِهدُوءٍ كَانَ يَكسُرُهُ صَوتُ أَحجَارِ المَسبَحةِ الَّتي كَانَ جَدِّي يُحرِّكُها بِاستمرَارٍ، فَكُنتُ دَائِمَ النَّظرِ إليها بَينَ يَدي جَدِّي الغَالِي، فجأَةً وَبينَما الأَحْجَارُ تَتحرَّكُ تِباعاً سَمِعتُ أَصواتَ أشيَاءٍ تَرتَطِمُ بِالأَرْضِ، فَلمَّا نَظرتُ أدهَشَنِي وأَحزَنَنِي مَا رَأَيْتُ، يَا إلهِي إنَّها مَسبحةُ جَدِّي الغَاليَةُ عَلى قَلبِهِ قد اِنقَطعَ حَبلُها و ارْتَمَتْ أَحجَارُهَا مُتَبعثِرةً فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلى الأَرضِ، وَبعدَ أنْ خَيَّمَ هُدوءٌ وَدهشَةٌ قَليلاً من الدَّقائِقِ اِندفَعتُ إلى الأَرضِ أبحَثُ وَأجمَعُ الأَحجَارَ المُتبعثِرةَ لأضَعَها بَينَ يَدي جَدِّي، كَانَت عَمليَّةُ البَحثِ صَعبةً وَطَوِيلةً فَالأحجَارُ كَانَتْ مُندَثِرةً فِي كُلِّ مَكانٍ فَقد كَانَ الأمرُ يَتطَلَّبُ مِنِّي إزاحَةَ بَعضِ الأَثَاثِ وَرَفعِ البَعضِ الآخرِ، و بَعدَ مُرورِ سَاعَةٍ مِن الزَّمنِ نَجَحتُ فِيْ جَمعِ كُلِّ الأَحجَارِ حَيثُ بَدأَ جَدي يُدخِلُ الأحجَارَ فِي الخَيطِ المُنقَطِعِ مُحاوِلاً إعادَةَ تَكوِينِها مِن جَديدٍ، كُنتُ جَالِساً عَلى الأرْضِ أُشاهِد بِهدُوءٍ عَملَ جَدِّي، فاَستَمرَّ جَدي بِتنسِيقِ الأحجَارِ فَترةً طَوِيلَةً إلى أنْ وَصَلَ إلى النِّهايةِ، لَكنَّ الأَمرَ لَم يَكُن بِهذِهِ السُّهولَةِ فَتفاَجَئنَا بِأنَّ الأحجارَ تَنقُصُ حَجراً وَاحِداً، فَمَا كَانَ مِن أمرِي إلَّا أنْ رُحتُ أبحَثُ بِجهدٍ كَبيرٍ عن الحجَرِ الضَّائِعِ وَلكن مِن دُونِ جَدوى فَكَأَنَّهُ دَبُّوسٌ صَغيرٌ ضَائِعٌ فِي كَومةِ قَشٍّ، وبَعدَ فُقدَانِ الأمَلِ مِن إيجادِهِ جلَستُ بِجانِب جَدِّي الذي بَدتْ عَلامَاتُ الحُزنِ بَادِيةً على وجْهِهِ المَعهُودِ بِاللطفِ والحَنانِ فشعَرتُ

بِالحُزنِ نَفسِهِ يَقطَعُ قَلبِي وَرُحتُ أَبحثُ عَنْ حَجرٍ مُناسِبٍ لِلمَسبحَةِ، وبَعدَ سَاعَاتٍ طَويلَةٍ مِن البحثِ عَن الحَجرِ المُرادِ جِئْتُ رَاكِضَاً بِاتِّجاهِ جَدِّي ومَعي حَجرٌ ضَخمٌ جِداً وشَديدُ الجَمالِ والزَّخارفِ و قَدَّمتُهُ لِجدِّي لِكي يُكمِلَ بِهِ مَسبَحتَهُ، فِي حِينِها لَمْ يَستطِع جَدي أنْ يُخفِي اِبتِسامَتهُ و اِندفَعَ قائلاً:

- مَا هَذا الحَجرُ يا بُنيّ إنَّه لا يَصلُحُ لأَنْ يكونَ حَجراً لِمَسبَحتِي !

- فَرددْتُ و أنَا مُستغْرِبٌ مِن كلامِ جَدي: لكنَّ هَذا الحَجرَ أكبرُ وَأجمَلُ مِن الحَجَرِ الأصْليّ.

سَكتَ جدي وَراحَ يُجرّبُ إدْخالَهُ فِي المَسبحَةِ إمعَاناً فِي إيصَالِ الفِكرةِ لِي، كُنتُ أُراقِبهُ بِانتِباهٍ فقد حَاولَ جَدي مِراراً وَتكرَاراً إدخالَ الحجَرِ الكَبيرِ ولكِنْ مِن دُونِ جَدوى فَالمكانُ مُخصَّصٌ لحَجرٍ أَصليّ صَغيرِ الحجمِ، وبَعدَ أنْ يَئستُ مِن الأمرِ استلقَيتُ عَلى بَطنِي مُركِّزاً عَينِيْ عَلى زَاويةٍ فِي الغُرفةِ وبَينَما أنَا شَارِدُ الذِّهنِ فَجأةً شَاهَدتُ نِصفَ حَجرٍ مُختَبِئٍ تَحتَ فِراشٍ مَوضوعٍ عَلى الأرضِ فَأسرَعتُ إليهِ وَحَملتُهُ لأضَعهُ بَينَ يَدي جَدي الَّذي أدخَلهُ بسُرعةٍ لِيَضُمَّهُ إلى مَجمُوعَتِهِ، أَمَّا الحَجرُ الجَمِيلُ والكَبيرُ فَقد بَقيَ مُلقَىً عَلى الطَّاوِلةِ مِن دونِ أنْ يَهتمَّ بِهِ جَدِّي، عِنْدَها عَلِمتُ أنَّ لِكلِّ شَيءٍ مَكانٌ مُحدَّدٌ لا يَستَطِيعُ أحدٌ أنْ يَأخذَهُ مَهمَا كَبُرَ حَجمُهُ وقِيمَتهُ، وبَعدَ مُرورِ عِدَّةِ أيامٍ قَامَت المَدرسَةُ بِدعْوَةِ جَميعِ النَّاسِ لِحُضُورِ المَسرحِيَّةِ المُقامَةِ فِي المَدرسَةِ، فَقرَّرَ جَدِّي أَنْ يَذهَبَ إليهَا وَ لَكنَّهُ كَان حَزِيناً لِأنني لمْ أُشارِكْ بِها بِسببِ عَدمِ حُبِّي لِدورِ الحَارسِ، وفِي يَومِ اِقامَةِ العَرضِ المَسرحِيّ طَلبَ مِنِّي جَدِّي الذَّهابَ إلى الحَفلةِ فَرفَضتُ ذلِكَ فَذهبَ حَزِيناً إلى المسْرحِيَّةِ وقَد اِختارَ مَقعَداً بَعِيداً عَن المِنَصَّةِ لِيُفسِحَ المَجالَ لأهلِ الطُّلاَّبِ المُشارِكينَ فِي المَسرحِيَّةِ لِيُشجِّعُوهُم عَن قُربٍ ، بَدأتْ المَسرحيَّةُ وَ بدَأَ الرَّاوي بِذكرِ أسماءِ المُمَثِّلين و الطَّلبِ منهُم الخُروجَ إلى المِنَصَّةِ لِتقدِيمِهم إلى النَّاسِ، أَتذَكَّرُ فِي يومِها أَنَّ الطَّالبَ الَّذي أَخذَ دورَ المَلِكِ قَد تَعثَّرت قَدمُهُ وكَاد أَن يَقعَ على الأَرضِ لولا يَد الحَارسِ الشَّخصيّ الذِي حَماهُ مِن السقُوطِ وحَمَى العَرضَ مِن التَّأجيلِ، فِي حِينِها جَميعُ الحُضورِ

بَدؤوا يصَفِّقونَ للحَارِسِ الشَّخصِي للملكِ وَجدِّي مِن بعِيدٍ يُصفِّقُ و يُحرِّكُ رَأسَهُ وَ يُعلِي قَدمَيهِ لِرُؤيَةِ الحَارسِ.

ومَا هِي إلَّا لحَظاتٌ قَليلَةٌ حَتى عَلا صَوتُ جَدِّي قَائِلاً:

-أَحسنْتَ يَا بُنيَّ أَنتَ أفضَلُ حَارسٍ.

فَقد كَانَ ذلك الحَارسُ أَنا لأنَّ جَدي ومَسبَحتُهُ قَد عَلَّمانِي أَنَّ لِكلِّ شيءٍ وإنْ صَغُرَ حَجمُهُ يُمكنُ أنْ يكونَ لهُ أثَرٌ كَبيرٌ فَإنَّ دَوري كَحارسٍ لَم يوقفَنِي أبَداًمِنْ أَن أكُونَ نجمَ المَسرحِيَّة الذي لَفَّ بِذراعِهِ الملكَ وحَماهُ من السُّقوطِ و في النِّهايةِ كلماتِي المُوجهَةُ إلى جَدي هي عُربُونُ مَحبةٍ و امتِنانٍ لَهُ فشُكراً لكَ يا جدي وشكراً لمَسبحتِكَ الجميلةِ الأحجارِ.

*****

عروسة بائع الجرايد

عبير سلامة

مع إشراقة شمس كل صباح تستيقظ هي كعادتها كي تعد نفسها للذهاب إلى مدرستها، فتاة في صفها الثاني عشر تحمل من جمال الشرق ما يميزها عن بنات جنسها، ومن ذكاء العقل ما يثقل من قدرها وقيمتها.

هي ابنة لرجل يعمل مديراً للمدرسة التي تلتحق هي بها، وإمرأة من سيدات المجتمع الراقي وخبيرة بالعمل الاجتماعي والتطوعي.

في طريقها إلى مدرستها والذي اختارت أن تقطعه سيرًا على الأقدام كي تأنس بحديثها مع مريديه، كانت تقابل بائع الجرائد فيتحدثا عن أحوال البلد تارة وأحواله هو تارة أخرى شاكيا ذاك الحظ الذي أبى أن يبتسم له ويعطيه ما يساعده في تربية ثلاثة أبناء، واليوم يشكو لها من بين شكاياه رغبة ابنته الصغيرة التي تريد منه لعبة صغيرة كانت قد رأتها في يد إحدى بنات جارتهم وهو يقول في حسرة:

_عروسة صغيرة لا تسمن ولا تغني من جوع تريد أن أشتريها لها بما يقضي حوائجنا جميعا لشهر كامل!

كان يخبرها متعجبا ومتحسراً على ما آلت إليه أحوال البلاد، ثم أحواله.

ودعته في مفترق طريق واولت له ظهرها وهي تتساءل في تعجب:

_أيعقل أن يصل به الحال إلى الدرك الذي لا يستطيع فيه تلبية طلب صغير كهذا لابنته؟!

تفكر في الطفلة الصغيرة التي ترى في عروسة صغيرة جل حياتها، والأب الذي يرى في طلب ابنته أمنية كبيرة لا سبيل إلى تحقيقها.

أيقظها من شرودها صوت المرأة العجوز التي تبيع قطع الحلويات الصغيرة على أحد جانبي الطريق وهي تسألها:

_ألن تشتري اليوم كعادتك يا حبة القلب؟!

سارت إليها بوجه باش وسن مبتسم وهي تقول في معاتبة لطيفة:

_أيعقل هذا!

تقدمت إليها وناولتها ما في جيبها من مصروف وأخذت في مقابله ما تريد وكعادتها رفضت المرأة ما تعطيه إياه وهي تقول:

_لا يا حبيبة لقد اعطيتني الكثير وأنا..

قاطعتها حبيبة بقبلة على رأسها أودعتها كل محبتها وقد اغمضت عينها من فرط ما يجيش بصدرها من عاطفة لتسقط دمعة على رأس المرأة التي أمسكت بكف الفتاة رغبة في تقبيله إلا أنها رفضت وقامت هي بتقبيل يدها.

لتجيب المرأة بسيل جارف من دموعها التي أبت الإحتباس.

أشارت لها صديقتها على الجانب الآخر من الطريق فودعت المرأة وذهبت إليها كي تتابعا طريقهما وعندنا حين صديقتها بادرتها الأخيرة معاتبة:

_كعادتك يا حبيبة تبذرين في صرف محبتك على الجميع مما دفعهم إلى الطمع فيك.

لم تولي كلماتها اهتمام فقد كانت تفكر في بائع الجرائد الذي يبتغي شراء عروسة صغيرة لصغيرته، مما دفع صديقتها إلى الإسهاب في توبيخها ولومها ظنّا منها أنها لا تجد اجابة على ما تفعله.

وصلت إلى مبنى الأيتام الذي يقع قبل مدرستها بعدة مباني وألقت عليه نظرة ملؤها الحسرة، اليأس وقلة الحيلة وتمتمت مفكرة _ليتني أملك بين يدي مال قارون لدفعت عنكم بعض من آلامكم التي تتألمون لها!

أوقفتها صديقتها وهي تصيح فيها:

_حبيبة، أحدثك أنا منذ دقائق ولا تجيبين! سألتك ما العمل الآن؟!

أجابتها وهي على شرودها:

_العمل في التنشئة لو استطعنا تنشئة الجميع على مبادئ الإنسانية لخلقنا إنسان بحق.

استنكرت الصديقة ما سمعته وتفوهت بذهول ساخر:

_مجنونة أنت؟!

تركتها وذهبت إلى الشارع الجانبي قابلت تلك الفتاة الصغيرة التي تنتظرها يوميًا وفي نفس الساعة وأعطتها ما بجعبتها من حلويات وطعام ثم ودعتها كي نذهب كل منهما إلى وجهتها.

لتتوعدها صديقتها:

_فاض الكيل يا حبيبة اليوم سأخبر الأستاذ رؤوف بما تفعلينه كل يوم من إهدار أموالك وطعامك!

لم تلتفت الفتاة إلى التهديد والوعيد في كلمات صديقتها وتابعت طريقها بخفة غير معهودة وإقبال لا مثيل له.

أما الأخرى فقد كانت يتآكل ما بداخلها لدى رؤيتها لذاك الإشراق على وجه صديقتها،وفور وصولهما إلى باب المدرسة ذهبت حبيبة إلى مكانها المعتاد بينما الأخرى إلى مكتب المدير بكل اصرار هذه المرة لاخباره بما يحدث من ابنته في صباح كل يوم.

دقائق عديدة مرت قبل انتهاء طابور الصباح، الذي ختمه المشرف بدعوة الطالبة حبيبة رؤوف إلى حجرة المدير.

دخلتها على وجل مدركة أنها دعوة لا خير فيها، وقد كان!

فقد تلقت صفعة بادئ ذي بدء تبعها وابل من التعنيف والسب واتهامها بالاستهتار والتي كان من بينها:

_لا تعلمين أنك تفتحين الباب للطمع بك؟ من اخبرك ان هذا الزمان يقابل فيه الإحسان بالاحسان؟

نظرت إليه في ذهول لا تعلم كيف استطاع التفوه بما قال، لتقول في خشوع:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

آية تفوهت بها على استحياء وتعمدت عدم النظر إليه تجنبا لإحراجه فما كان منه سوى صفعها مرة أخرى.

تركته غاضبة وخرجت من باب المدرسة بخطوات سريعة تمنع تلك الدموع الحارقة من النزول بكل ما أوتيت من قوة، تفكر فيما فعلته، فيما فعله والدها وأمها أين هما منها؟

هل ما قامت به هو الصواب أم الخطأ؟

تفكر في بائع الجرائد هل يستطيع شراء تلك العروسة لابنته؟

أب صفر اليدين لا يملك من الدنيا شئ ويرجو لو استطاع الإتيان بالدنيا تحت قدم ابنته، وآخر لا يعلم عن ابنته شئ ولا يعاملها سوى بالصفع والأمر.

توقفت فجأة وبداخلها اصرار عجيب يدفعها إلى مساعدة بائع الجرائد، ثم التفتت باتجاه الطريق الرئيسي وهمت بالمرور إلا أنها سقطت فجأة وقد برقت أمامها مرة واحدة وشهرت بخيط ساخن يسقط على وجهها وألم شديد يجتاح جسدها ثم هدأت فجأة ولم تشعر بشئ.

صراخ، عويل وحوقلة ثم صوت أحدهم:

_فارقت الحياة وفرت السيارة.

بينما هي أغلقت عينها وهي تفكر:

_عروسة..بائع الجرائد.

❊❊❊❊❊

وسنلتقي رغم الفناء

إيمان سمير زغلول

يوم آخر من أيام الشتاء، والذي كان دافئ نسبيا، حيث الشمس ساطعة في أوله مستقرة في كبد السماء ؛وقف على الشاطئ القريب من داره والذي كان هادئا نوعا ما .

نظر إلي الفراغ أمامه حيث تعانق ماء البحر بزرقتة مع السماء بسحبها الصافية، شرد بعيدا بعد ان قلب الصفحة التي بيده ومسك قلمه الرصاص بسنه المدبب ثم أخذ يتذكر تلك الفتاة التي رأها اول مرة بعد أن سافر إلي مهمة رسمية في رحلة عبر الزمن حيث عام ١٢٠٠ للبحث عن همزة الوصل والحلقة المفقودة عبر التاريخ وتفسير ما إن كانت تلك الأميرة هي الاميرة المنقذة لكوكب (توتلس) ، والتي طلبت اميرة هذا الكوكب المساعدة من المؤرخين الأرضين لإنقاذ كوكبها الواقع في مجرة مختلفة تماما عن مجرة كوكب الارض تبعد عنه آلاف الاميال.

***

كانت تعتلي فرسها متلثمة في سباق الرمي بالسهام ورغم سرعة الفرس وعدم إمساكها للجامه أصابت الهدف وبكل جدارة لم يكن يعلم احد من الحضور أنها إمرأة فضلا عن كونها الأميرة.

سمع صوت رجل يهمس إلى من حوله :ياإلهي إنها الأميرة!

تركها في ساحة السباق ثم إتجه إلي قصرها المستقر فوق ربوة بأعلي المدينة بقد إنتظارها هناك، وقد كانت لحظة وصوله موافقة تماما لوصولها عند مدخل القصر رمقته بنظرة

تتفرس غرابة ملامحه وهيئته ومع أنه حاول من قبل أن يتشبه بلباس أهل عصرها ولكنها نجيبة في تميز الناس من هيئتهم .

كاد أن يتحدث بعد إنحنائه لها إجلالا ، ولكنها بادرته سائلة: من الغريب ؟

قال: مهمة رسمية يا مولاتي.

أشارت للحراس بإدخاله ثم أكملت: من أي عصر أتيت ؟

أجابها: القرن الحادي والعشرون

هزت رأسها بتأن. قالت: ما المهمه؟

صمت لبرهة ثم أجابها: رحلة عبر الفضاء لإنقاذ سكان كوكب (توتلس)

قالت: إذن كن مستعدا للإنطلاق بعد ساعة من الآن.

جذبه قوة شخصيتها وتمكنها من مكانتها كأميره وفراستها في ملاحظة الأمور.

إتجها نحو الكبسولة الزمنية التي كانت مضبوطه على الانطلاق تجاه (كوكب توتلس) ولم يشعرا بشئ بعد شرب مادة جعلتهم يغطوا في سبات عميق.

إنتهوا من سباتهم على عدد من الكائنات الخضر يحيطون بهم من كل إتجاه، وذلك بعد أن وجدوا نفسهم مستقرين على سطح الكوكب، تواصل معهم عبر الشفرات المترجمة في بذلته.

أخذوهم إلي أميرة الكوكب.

سألتها أميرة الزمان: كيف يمكن المساعدة؟.

قالت: فى سنة مائة وثمانون بعد الألف الأولى كنت أنت طفلة صغيرة أصابتك حمى شديدة وبالخطأ أحقنك الطبيب بعقار خاص بكوكبنا وبحمايتنا من الغزو حيث يعمل على إبعاد أي إرسال بوجودنا للمخلوقات الأخرى أو حتى بوجود كوكبنا .كنا قد أرسلناه إلي الأرض

لحفظه بعيدا عن أيدي الغزاة الطائشة والذين عرفوا سره من قبل وعزموا علي إختطافه مهما كلفهم الأمر ، تم إرساله مع قائد جيش الكوكب ولكن لم يداهمه الحظ في النجاة فاخفاه بين عقارات هذا الطبيب قبل نفاذ إسطوانات التنفس معه وموته.

والأن بدأ الغزاه يتجهون نحونا وبالفعل إحتلوا حدود كوكبنا نحتاج إلي أن نأخذ كمية قليلة من دمائك نحقن بها مخلوقات كوكبنا .

قالت: لا مانع لدي إن كان فيه نجاتكم لا يضر القليل من الدماء أبدا.

لم يكملا حوارهم إلا وسمعوا صوتا يرجف المكان ويزلزله وكأنما شئ إصطدم بأرض الكوكب.

جاؤوا الحراس مهرعين إلى أميرة الكوكب ينبؤنها أن الغزاة قد حطوا بسفينتهم قرب ساحة قصرها.

نظرت اميرة الزمان إليه ثم نظرت نحو الكبسولة الزمنية بالفناء فهم منها ماتقصده توجهوا بسرعة نحوها عندما حل الزعر والهرج بالكوكب دخل هو إلى المركبة يحاول جذب حقيبة الأسلحة ولكنها فاجئته بضربة قوية خلف رأسه بين أذنيه، شعر بالدوار ثم تناولت زجاجة منوم وأفرغتها في فمه وضبطت أزرا الإنطلاق نحو الأرض . نظرت إليه مبتسمه الأن تتوجه أنت إلى أرضك أما أنا فقد بليت عبر الزمان ولا وجود لي في زمانكم يجب أن أظل هنا لأساعدهم ثم ترجلت عن المركبة وتركته وهو يحاول أن يقاوم ذهابه في النوم ولكن لم يستفق إلا في مركز التدريب الأرضى ..

***

إنتبه من شروده على صوت الشريحة المركبة في عضده تصدر صفيرا بإنذار إجتماع مهم بقاعة مركز التدريب للتنقل عبر الزمن، توجه في الحال وكل أفكاره مرتكزة تبحث عن السبب ياترى من إستدعائي بعد أربعة اعوام كاملة من الرحلة الأخيرة .قابله مسؤل المركز الأول بنظرة محيرة له وقال نريدك أن تنظر هذا.

دخل معه إلي غرفة الطوارئ في جناح العمليات الهامة ليجدها تقف في حالة ثبات داخل صندوق زجاجي تتنفس عبر أجهزة، عيناها مفتوحتان لم تكن تتحرك في أي إتجاه.

وعندما دخل تنقلت إليه وظلت متتبعاه هو فقط وقف أمام الصندوق ووضع يده عليه مفرجا أصابعه ليجدها تتحرك وتضع يدها بالمقابل ليده من خلف الزجاج.

أشارت الأجهزة إلي إرتفاع معدل الحيوية في جسدها لوضع مقارب للطبيعي بدرجة كبيرة قرر الأطباء أن يخرجوها من الصندوق .. إبتسمت له قائلة ردت إلي أميرة الفضاء الجميل بأجمل منه لابأس من رحلة عبر الزمن لمدة خمسة أعوام، قال خبر سعيد يحمل بين طياته الحزن، وماذا بعد الخمسة اعوام ؟

قالت لا أحد يدوم الفناء هو مآل الجميع، دعنا نقبل بالخمسة أعوام ونمضي فيها كما مضى الاسبقون ... .

❊❊❊❊❊

مطاردة ذات

إيمان مصطفى أحمد خليل

جريدة الأهرام... صفحة الحوادث

عدد الجمعة ١ يونيو ٢٠١٨

"انتحار فتاة في التاسعة عشر من عمرها بقفزها من شرفة شقتهم بمدينة نصر، إثر قتلها لأمها"

***

رأت ظلها آتيًا فأغمَضَتْ عينيها، وفي براعة الممثلين استطاعتْ أن تجعلها تؤمن بأنها في سُبات عميق! ألقَتْ نظرة عليها بتفحِّص وخرجتْ، وكالعادة أغلقتْ باب شقَّتهم بالطابق الثالث بالمفتاح من الخارج، ونزلتْ إلى عملها كمحاسبة بإحدى المحال التجارية الشهيرة بمدينة نصر.

فتحتْ "إسراء" ذات التسع عشرة عامًا عينيها وألقتْ الغطاء في ضجر من عادات أمها، خرجتْ من غرفتها صوب الحمَّام تتهادى الخُطى فوق أشواك متوارية. خلعَت ملابسها، تأمَّلت جسدها ومنحنياته الدقيقة للحظات مُبتسمة، ثم شرعَتْ تستحم أسفل مياه الدش الدافئة مطنطِنة بكلمات مبهمة. وما إن انتهتْ إلا وخرجَتْ، والمنشفة حول جسدها.

دقَّ هاتفها المحمول، فأسرعت صوب سريرها لتجيب. لاحتْ ابتسامة على تقاسيم وجهها الجميل، لمّا سمعتٍ صوته الآت عبر السمَّاعة يقول:

- أين أنتِ يا "جميل" لقد اشتقتُ اليكِ؟

نظرتْ إلى نفسها في المرآة باعجاب:

- لقد كنت أستحم؛ أفي ذلك شيء!

أجابته بنعومة، فسرعان ما عاود الاتصال بهاتفها صوت وصورة؛ رفضت المكالمة وهي تضحك، لكنه عاود باصرار حتى أجابتْ، ولمَّا رأى أجزاء جسدها العاري؛ برقَتْ الشهوة في عينيه؛ أغرقها بكلامه المعسول مرة أخرى. كانت تتجاوب معه بسلاسة؛ إذ لم تكن تخاف من أمها فهي ليست هنا! اذًا تفعل كل ماتريد، مادامتْ وحدها بالمنزل.

لم يكن عشيقها الأول؛ بل هذا ما دَرجَتْ عليه منذ نضوج أنوثتها وربما من قبل ذلك. فقد كانت أمها دائمًا ما توبّخها عندما تراها تشاهد بشغف مشاهد القُبلات بأفلام التلفاز، أو على هاتفها، أو حرصها على مشاهدة الأفلام العاطفيّة، أو قراءة روايات الحب.

أسلوب أمُّها معها، والذي تراه قاسيّاً؛ جعلها تهرب باحثة عن اللين في أي مكان آخر؛ باحثة عن الحب. وِحدتها في البيت، لأن أمُّها طوال الوقت خارج المنزل؛ جعلتها تبحث عن كسر للملل، عن قصة تجدد طلاء حياتها البالي، ولم تجد سوى علاقاتها بالجنس الآخر؛ حتى وإن كانت عبر الهاتف؛ صوتًا أو صورة.

تجرّب أرقامًا فتصدف وتجود لها التجربة بشاب، ولمّا يسمع صوتها لا يتركها في حالها. أو تصادق الشباب من "الانترنت"، وتتطوَّر علاقاتهم سريعًا؛ مثل علاقتها مع "ياسر" التي كانت الأطول؛ تشعر بأنه الأخير، الذي سيتزوجها. هي تهفو لذلك اليوم، ولكن أمها مُصرّة على عدم زواجها الآن، هذا غير المواصفات العجيبة التي تريدها في زوج ابنتها: ذو أخلاق، وذو مال، مرتبه لا يقل عن خمسة آلاف، الشقة تمليك في مدينة نصر... ألخ. حتى إسراء قالت لها ذات مرة رفضت فيها عريس كالعادة:

- لابد أن نبحث عن خيَّاطة تفصِّل لنا عريسًا حسب الطلب يا أمي.

ثم تركتها هاربة إلى غرفتها؛ سجنها الأبدي.

فاجأها ياسر بقوله:

- أرى الحزن في عيونكِ الملوَّنة بالأصباغ! أتساءل: ماذا تحتاجين فكل شيء لديكِ!؟

قالت بلهجة التحفها الحزن:

- قد أكون مالكة لأشياء كثيرة؛ أبي طلّق أمي بعد أن ضبطته يخونها مع الخادمة، ولكن رغم مقاطعته لنا ورغم احتياجي له؛ فهو يخصص لي مبلغ كبير من المال شهريًا؛ يعتقد أن المال سيغنيني عنه! وأمي أيضًا تعمل ولا تحرمني من شيء من تلك الاحتياجات الماديّة، أمّا الاهتمام بدواخلي؛ ما أحب وما أكره، ما أتمنى وما تحتاجه روحي؛ فَحُرمتْ منها طوال حياتي. أمي وشكُّها المزعج، وحِرصها على حبسي بين جدران صمّاء مُصمتة تسمع شكواي ولا تواسيني؛ ليس خوف عليّ إنما خوف من أن أقترف خطأ مثل خطأ أبي!

نزلت دمعتين من مقلتيها واردفت بصوت شجي:

- أريد فقد ضمّة لصدرها، أو صدر أبي؛ حضن أغمض عينيّ فيه وأبكي!

بتلاعب ليغير الحديث؛ قال ياسر:

- ما رأيك في ضمّة من صدري أنا؟

ابتسمَتْ وعادتْ لشقاوتها المفرطة مُعلنة الموافقة.

في صباح يوم التالي وجدته يتصل بها؛ كانتْ جالسة بجانب أمها، تسلَّلتْ من جوارها، دلفتْ إلى غرفة نومها، وبصوت منخفض أجابته:

- ماذا تريد؟

- أريدكِ ضروري، لابد من مقابلتكِ؟

نقأ وجهها، صمتتْ برهة ثم أجابته مُتكدِّرة:

- لا أستطيع الخروج وحدي، ومستحيل على أمي أن تقبل خروجي في هذا الوقت من الليل!

أغلق الاتصال غاضبًا، واختفى عدة أسابيع، حتى كاد الشوق يحرقها. وبعد اتصالاتها الكثيرة به؛ أجابها بغضب مُصرّاً على رغبته في مقابلتها لوحدها، وهددها بلهجة حازمة:

- إن لم أقابلكِ؛ سأنسحب من حياتكِ إلى الأبد؟ ليس ذلك فقط، ولكن مكالمات الفيديو المسجلة لديّ، التي تظهرين بها عارية سأنشرها وأفضحكِ.

بتوتر بالغ فكَّرَتْ: سأتدمَّر إن خالفته! ووجدتْ الحل؛ سرقت مفتاح سجنها، وواعدته بأن يمر أسفل العمارة حيث تسكن. ولمّا مرّ؛ ألقته إليه من الشرفة سريعًا؛ صنع نسخة، ثم عاد وقذف به إلى الشرفة ثانية.

في اليوم التالي بعد خروج أمها للعمل؛ تعطرت وتزينَتْ من أجله، فجاءها واللهفة تتساقط منه كحبّات العَرَقْ. وكان اللقاء شاعري؛ لم تردع نفسها فارتمت في أحضانه، وما كانت تصبو إليه؛ هو حضن؛ أي حضن دافيء؛ ورغم تهديده لها، إلا أنه دائمًا ما يسحرها بكلامه ووسامته، والآن زاد سحره؛ قبلات، ولمسات وهمسات. لكنها لم تشأ أن تخسر أعز ماتملك، حافظت على عذريتها معه، وكان شرطها الذي فرضته على ياسر، ووافق.

تكرّر لقاؤهما العاطفي عدة مرّات، وفي يوم وهما في أحضان بعضهما البعض؛ سمعا صوتًا آتيًا من الخارج، وفجأة فُتحَت عليهما باب غرفة النوم، فصرخَتْ بصوت عالٍ:

- أمي!

فذّ ياسر مُرتبِكًا ليرتدي ملابسه، وركضَت إسراء خجلة ومرتعدة من أمها لترتدي ملابسها في الحمّام؛ مواراة جسدها بملاءة السرير، ودقات قلبها تكاد تنفذ من جسدها، وأصوات صراخ أمها وعراكها مع ياسر تعلو. لحظات وخرَجَتْ إسراء من الحمّام مخضَّلة الخدين، زائغة النظرات، تقدِّم ساقًا وتؤخر أخرى، واذ بالعراك يتوقّف، وأمها من باب غرفتها؛ تُدفع إلى الخارج، فتسقط منطرحة على الأرض، ليصطدم رأسها بالبلاط، ويطفو في بركة دماء، ويخرج ياسر من الغرفة هاربًا مذعورًا صوب الباب!

وبصدمة بالغة، والدموع تنهمر من عينيها صرختْ:

- ماذا فعلت لها يا مجرم؟ أقتلت أمي يا كلب؟

صرخت ثانية:

- أمي؟

وما إن أنهتها، ألا وكان قد اختفى! هرعت إلى أمها باكية:

- أمي قومي؟ ولا تغضبين مني؛ فأنا كما أنا لم أمس... رجاءً قومي؟

تحسَّست جسد أمها: لا نبض! استشعرتْ أنفاسها: لا شهيق ولا زفير!

قررتْ أن تلحق بياسر بغية الانتقام، وكي تلحق به قبل الابتعاد، فكَّرَت في أن تبعته قافزة من الشرفة... ونفَّزَت.

*****

على هامة الوجع

رنا العسلي

كان يحمل رغيفه الأسود داخل سترته الممزقة يخشى عليها من الضياع ، عيناه تلفظان الدمع وتحرق جوفه وهو يحث خطواته كي يصل سريعاً إلى منزله المتشرد قبل أن يلتهم الليل آخر ذرة اطمئنان لديه ، وبخه بعض المارة لأنه اصطدم بهم أو تعثر وسقط أمامهم وكأنه جرب أو طاعون ولكنه استمر مخفياً دموعه واختناق شهقته حتى وصل أخيراً لمنزله ، ذاك الرصيف الذي يأويه حيث تجلس أخته الأصغر منه ترتجف من البرد والجوع والمرض ، مسح دموعه كي لاتراها ورسم ابتسامة نصر مزيفة على ملامحه واقترب وهو يلوح لها بالرغيف الجميل ، نهضت بصعوبة وهي تهنئه لحصوله على طعامهم اليوم فأعطاها الرغيف وطلب منها أن تأكله كله لأنه تناول حصته على الطريق ، أكلت بفرح وهو يتأملها بسعادة لاتوصف لأنه استطاع أن يحصل لها على طعام اليوم وجوفه ينادي معاتباً جوعه وهو يسكت داخله كي لاتسمعه أخته .

تناولت وجبتها الشهية وغفت بقربه ، كان يدفئها بعلب الكرتون الفارغة وجسده الطري وكلما مر أحدهم بقربهم كان يضرب جسده كي يبتعد عن الرصيف أو ينهره بالكلام البذيء فما كان منها الا أن يحاول مواراة جسده قدر الإمكان عن مرور الناس .

أوماً للفجر أخيراً ببسمته البريئة ونام بعد عناء وألم ، لكن نومه لم يستمر كثيراً لأن يداً خشنة حملته من ياقة سترته وأيقظته وحين حاول أن يفهم مايجري كان ذات الرجل الذي أوجعه الليلة الماضية وأيقظ دموعه الحارقة يجره بقربه إلى أقرب مكان خال من عيون

البشر ، بعيداً عن أصوات الرصيف التهم كأمس طفولته الندية قدر ماسمحت له شهوته المجنونة وأنفاسه العفنة ثم رمى له بقطعة نقدية والتف بجرمه مع رائحة أنفاسه ومشروبه الذي اثمله وأمره بالانصراف .

حمل الصغير آلامه وأمر دمعه ألا يهول الأمر من جديد فلقد حصل على الخبز لليوم الثاني وهوسعيد بذلك وقبل أن يصل إلى أخته الراقدة على الرصيف هوى وهو ممسك بالقطعة النقدية بقوة وثيابه تلعق الدماء التي هجرت جسده وفقد طعم الحياة لكنه لم يفقد ماضمته أصابعه ولابسمته المزيفة .

اقترب المارون يصورون الجثة البريئة الصغيرة ويتسارعون كي يملأوا صفحات الفيس بوك بالخبر الحزين ثم يغادرون دون أن يحاول أحدهم حتى حمله من عفونة الطريق الذي ضمه .

اقتربت أخته كي توقظه غير مدركة لما حصل فجأة فتسللت القطعة النقدية إلى حجرها وبلا صوت كان قد استسلم للموت .

هناك في آخر الشارع وقف الثمل يتأمل الطفلة التي تحمل جسد أخيها بين ذراعيها وتضمه إلى صدرها وتبكي فيقترب منها ويطبطب على جسدها ويحملها معه كي يطعمها ، يجرها من أصابعها الطرية وهي تتأمل الأخ المسكين وقد ضمه الأسفلت وحده دون أن يلحق بها كعادته وغابت عن الأنظار .

كانت لحظات غريبة تلك التي خطفت سارة في زيارتها للبلد بعد غياب مستمتعة بشماهدة الواجهات للمحلات المكتظة بالناس لتجد عند أعتاب أحدها فتاة رثة الملابس تضع عند أسفل قدميها لافتة كتب عليها ((كل فعل أجره لله))

لم تستطع كبح فضولها فاقتربت من الفتاة وحاولت أن تحدثها رغم نظرتها الشرسة التي قابلتها بها وحين حاولت سارة أن تطبطب على كتفها نهشت الفتاة بأظافرها الملوثة يد سارة

كحركة هجومية اعتادت التوثب بها عند كل مفترق في حياتها .

احتارت سارة من موقف الفتاة فهي على عكس المتسولين في بلدنا الذي يقتربون منك بأي ذريعة كي تعطهم مالاً وحملها الفضول أكثر فلم تسمح لنفسها بالابتعاد عن مكان الفتاة كثيراً ، فوقفت على ناصية الشارع لتراقب تصرفات الفتاة من بعيد ، اقترب بعد فترة وجيزة رجل كبير من العمر وجر الفتاة معه كما يجر أكياس الشعير إلى حارة ضيقة مما جعل سارة تلحق بهما دون استسلام لصوت العقل الذي أنب فضولها .

هناك في تلك الحارة الضيقة وجدت شاباً يلتفت يميناً وشمالاً كمن يخشى ظله ثم يدفع نقوداً للرجل الذي أحضر الفتاة ويدخل البناء برفقة المتسولة دون أن يغادر الرجل مكانه .

لحظات قليلة وخرجت الفتاة فيجرها الرجل بنفس الطريقة إلى المكان الذي أخدها منه منذ البداية ، لم تستطع سارة ليلتها النوم ، كانت الساعة تهزأ بها وكان لحلمها رائحة الدخان المقيت للأفكار التي عاركتها ، تشرب فناجين القهوة تباعاً وتتسول من حزنها لحظة نور تأمله لكنها لم تستطع نفض ماشاهدته عن ذاكرتها .

في اليوم التالي حملت عنادها وعادت إلى ذات المكان ، لم تجد الطفلة ولكنها تصر على الوقوف متسمرة في مكانها حتى تأتي ، وجدتها بعد انتظار طويل تجر ذيول القهر والحقد وتضرب بقدميها كل مايتعثر أمامها ، تجلس بجسد أنهكته الحياة وتبكي .

تستيقظ سارة من تأملها وتسرع بخطاها واثقة ولكن هذه المرة لم تنظر إليها بشراسة بل وجهت نظرة اليها مليئة بالاستسلام واليأس وعادت لتراقب أصابعها المقرحة من الألم .

اقتربت سارة وطلبت منها أن ترافقها فحملت نفسها دون أن تسألها لماذا ؟.

هل ظنت للحظة أن سارة ستوذيها ؟. هذا السؤال ضرب أوتار الحيرة لدى سارة لكنها أكملت طريقها ودخلت منزلها برفقتها ثم دلتها على الحمام .

ساعدتها كي تخلع ملابسها والفتاة مستسملة بلا حركة ثم أشارت لها إلى مكان الصابون وملأت لها البانيو بالماء الدافىء وطلبت منها أن تسترخي في داخله .

هرولت مسرعة كي تحضر لها شيئاً ترتديه وبما أنها نحيفة بفارق بسيط عنها ساعدتها ملابسها لتفي بالغرض ، كانت تشعر بالفرح لأنها معها ، جففت جسدها المملوء بالكدمات القاسية وألبستها الثياب النظيفة وعادت بها إلى الصالون كي تأكلا معاً ، حاولت أن تتحدث معها لكن الفتاة صامتة حد الوجع ، فاكتفت بأنها هنا معها الأن ولايهم ان لم تتحدث .

كانت المتسولة تستغرب تصرف سارة في داخلها فالوقت يمر ببطء ولم تقترب سارة منها كما يفعل الأخرون وتنظر إليها خلسة فانتبهت سارة إليها وطمأنتها بنظرتها أنها ليست منهم، فغفت الفتاة في حضنها كمن لم يذق طعم النوم منذ سنين .

بكت سارة كثيراً قبل أن تغفو قربها وحين استيقظتا كانتا لحظة سحر من نشاط وحب ، قررت سارة أن تأخذها إلى مكان متخصص برعاية أمثالها وقامت بكل الإجراءات المطلوبة وطلبت من المديرة أن تكون كفيلتها وستبقى على اتصال بها حتى ولو كانت خارج البلاد ، تنفست سارة الحب وهي تودعها وتعدها بالحضور دوماً لرؤيتها ولكن الفتاة متشبثة بأصابعها كمن يحتمي من الوقت لكنها طمأنتها أنها ستكون بخير هنا .

مرت شهور حملت للفتاة بعض الأمل قبل أن تقع فريسة الظروف من جديد في مكان ظنت تلك الكف التي حملتها إليه أنه سيحميها من تطفلات الفساد والرعب والقسوة فهربت من جديد من واقع يلاحق الضعفاء أينما كانوا .

عادت سارة من رحلتها وركضت مهرولة على جناح الشوق كي تلتقي بالفتاة ففوجئت بقصة هروبها وبالحروف التي تخفيها عيون البعض هناك ، جرت خطواتها بتثاقل وحزن لتخرج بيأس نهش الشوق الذي حملته في حقيبتها حين ولجت اصابعها لمسة صغيرة لطفل صغير في المكان ، اقتربت منه وسألته إن كان يريد شيئاً فهز رأسه نافياً ثم قال: صديقتي سارة

خرجت وهي تبكي من غرفة ذاك الرجل وأشار بأصبعه الى باب المستخدم في مركز الرعاية ، لكن ارجو ألا تخبر يه أنني أخبرتك عنه لأنه سوف يجلدني وهرب الصغير بدموعه .

عادت سارة بسرعة إلى غرفة الإدارة وشرحت للمديرة ماحدث وطلبت فتح تحقيق بالموضوع إلا أنها رفضت وطردتها من مكتبها ، فأسرعت سارة إلى المكان الذي التقت فيه الفتاة أول مرة ، قادتها الشوارع والحب ، قادها الضمير الذي فقده الكثيرون لتجدها في ذات المكان فعلاً ، هرولت إليها وهي تفتح ذراعيها بشوق وحب لتشهر تلك الفتاة سكيناً في وجهها يسمرها مكانها .

أدهشها ماشاهدته في نظرة الفتاة من شراسة وعداء وصراخها بأن تبتعد عنها ، ثم تركتها وابتعدت عن مكانها وسارة متسمرة في مكانها لاتعلم ماتفعل ، التفتت الفتاة قبل أن تختفي إلى سارة بعيون تبكي ثم اختفت .

جرت سارة خيبتها تتنفس حزنها الصامت ، تحاور الجدران والحارات عن ألم الحقيقة ، تتعثر شهقاتها عند كل مفرق وعند كل نظرة لطفل يعانق برودة الاسفلت بجسد غاضب .

دخلت منزلها ولم تلمس اضاءة الغرفة ، قبعت في الزاوية تتأمل أطياف مستقبل قادم لاينبىء عن حياة ، ضربات على بابها تربك حزنها ، ترد على مقبض الباب بعنف كبير لتجد فتاتها التي هربت منها واقفة وفي عينيها رجاء ، تضمها بحب وتغلق الباب في وجه الصدأ الذي ملأ الهواء خارجه وتجلسان مع صوت أحلامهما القادمة .

النهاية

❊❊❊❊❊

"قبس من نور"

زينب السيد "زهرة الأوركيد"

ضرير!!"

ما هي إلا كلمة صغيرة ألقاها الطبيب المخضرم أسفا على مسامع الأم التي تجلس أمامه؛ ولكن ما أقساها من كلمة مميتة قد تقع على مسامعها، لتسقط على أذنيها كانفجار قنبلة تصم الآذان بعدها، فلا تستمع لحرف من أي كلمة تذكر، ولا تعي لم يحدث حولها، فابنها، فلذة كبدها، وحيدها الصغير مصاب بالعمى، فتأخذها الهواجس وتتحكم الصدمة بها وتصور لها أبسط الأمور سوءا،هل ستحل العتمة على حياتة وسيحيا في الظلام الدامس أبد الدهر؟،، تسارعت نبصات قلبها لدرجة الشعور أن الجميع استمع لها،، لم تنتبه لاصطحاب زوجها لها، وخروجهما من عند الطبيب إلى وصولهما للمنزل، شعرت بمن يحاول جذب طفلها من بين أحضانها، فطغى شعور الحماية لديها، فتسرع بضمه بقوة مانعة أخذه منها، إلى أن هدأت عندما استمعت لصوت زوجها المطمئن لها حاثا إياها على تركه فلقد غفى،،،

تنهد قليلا قبل البدأ قائلا:

" صبرا آمنة اتجزعين من أمر الله، توكلي على ربك وفوصي أمرك له، فالله ولي الصابرين"

حاولت الاعتراض، اظهار رفضها فمازالت غير متقبلة لكنه عاد وتحدث:

سنكون بإذن المولى نور عينيه، مرشديه للصواب وآخذين بديه دائما وأبدا لكن اصبري، فصبر جميل والله المستعان"

وكأن حديثه الإيماني قد ربط على قلبها وثبتها مستعيدة رابطة جأشها، فلن تكون حالتها أصعب من أم موسى عندما ألقت ابنها في اليم غير عالمة بمصيره وفقط توكلت على ربها وستفعل مثلها... .

فما أعجب الأيام، بلمح البصر تمر كالأعوام، ويكبر الصغير ويخطو على قدميه مسابقا من في عمره من الأجيال.... صوت بكاءه يشطر قلبها لنصفين، يصلها رغم بعد المسافات، جرت للخارج فتحتضنه مستقبلة إياه، مهدئة من ورعه، وباثة في نفسه الاطمئنان، وتسأله بلهفة عما ألم به وسبب له البكاء، فيجيبها من وسط شهقاته المتتالية العالية عن تنمر الأطفال و عن حالته المختلفة عن الآخرين بعدم قدرته على النظر للأشياء، فتربت على كتفه والألم يقتلها ورغم ذلك ترسم البسمة على الشفاة، مخبرة إياه، بأن الله قد اصطفاه، ووضعه بهذا الاختبار فعليه النجاح، وهو أفضل من الآخرين الذين يسخرون منه مع الأيام، ثم ألقت عليه سؤالا دائما ما كان يخطر على البال:

"كيف تراني؟"

"كنهر متدفق من نبع الحنان، امتزجت مياه مع تراب ضفتيه، فكون أرض طينية خصبة تنبت عليه جميع الخيرات ومن ثم الحضارات"

أغرقت مقلتها بالدموع، وضمته لصدرها بقوة، قائلة:

" ألم أخبرك أنك مميز مختلف عن الجميع"

اتسعت ابتسامته، وابتعد عنها قائلا:

"سأريك شيئا"

أسرع إلى الغرفة المجاورة كأي إنسان آخر وأحضر قطعة خشبية منحوتة، تشبه إحدى ألعابه الصغيرة، وأعطاها لوالدته جزلا، فسألته مستفسرة عن مكان احضاره لها، فكانت إجابته ماأدهشتها وجعلها تردد الحمد بداخلها، فهو من صنعها بنفسه

فسألته:

"كيف؟"

" عندما ألمس الأشياء فآراها وأشعر بها بطريقتي، وكيفما آراها أطبقها على القطعة الخشبية وهذا ما نتج مني، هل هي جميلة؟"

وقد ألقى سؤاله بلهفة وكأن حياته تتوقف عليه، فهزت رأسها مؤكدة: " بالتأكيد، لم أرى في جمالها قط، بالتأكيد سيكون لك شأنا عظيما مستقبلا"

وقد صدق حوارها، وكأنها تنبأت بإحساسها ما سيكون، فهاهي السنين جرت ومرت كالأيام، ويأتي يوم تلقيه جائزة أفضل قطعة خشبية منحوته بعد طول عناء، وتعثره بضع مرات، وتذبذبه بين الفشل والنجاح، ودعم والدته طول الوقت والمرات، فصممها كما يرى والدته بوجهها الصبوح ونهر يتدفق من مكان قلبها تنبت الأشجار على ضفتيه، طلب منه القاء كلمته، فلخص حواره ببضع كلمات:

"الأم هي الحياة، هي سبب التميز وليس فقط النجاح"

❊❊❊❊❊

شقة رقم ١٧

محمود اللقانى

لا تسيئوا الظن بالناس... فلكل منا هموم لا يعلمها الا الله.

وظيفة جديدة

دخل ياسر وعلى وجهه السرور الى منزله المتواجد فى احدى قري مصر يبحث عن زوجته ليزف لها خبر حصوله على عمل جديد بعد عناء من البحث اخيرا قد تم توظيفه بأحد مدارس القاهرة .

قال لزوجته وهو يبحث عنها بعينيه داخل المنزل.

_يا سعاد اين انتى لدي خبر هام وسعيد.

خرجت له سعاد من المطبخ وتبعها ابنها حسن الذي كان فين سن العاشرة من عمره وتحدثت الى زوجها.

_ماذا حدث يا ياسر وما سبب هذا السرور.

وضع يده ياسر يده على كتف زوجته واخذ ينظر اليها هى والطفل ويقول وهو في حالة سعادة .

_ لقد رزقني الله بالعمل ف احدى مدارس القاهرة كمدرس بمرتب جيد الحمد، كم كنت انتظر هذا العمل بفارغ الصبر لقد سئمت من العمل في مدارس هذه القرية بمرتبها الشحيح .

ابتسمت له زوجته وهنئته في فرحة وسعادة ثم نظرت له بحيرة واخذت تسأله.

_ ولكن اين ستمكث وهل ستغيب بعيد عنا فترة طويلة ؟!!

ضحك ياسر من كلام زوجته واخذ يمشي بيده على شعر رأس ابنه حسن.

_ حتي في الاخبار السعيدة تعقدين كل شئ يا سعاد لكن لا تقلقي فتم توفير سكن لى وسننتقل جميعا باذن الله بعد شهر من الان مع حلول العام الدراسي الجديد ونقل اوارق حسن الى مدرسة جديدة هناك.

تنهدت سعاد واخذت تفكر في راسها حتى قالت

_ لكنك ستجعلنى ازور البلدة والاهل من حين الى اخر اليس صحيح؟

_ يا الهى كفي بحث عن المتاعب والاسئلة بالتاكيد سنزورهم لا تقلقي ولا تسئلى عن شئ اخر بعد الان فقط رتبي امورنا لكى نرحل الى مكاننا الجديد.

_ حاضر حاضر اهدأ انا لا أقصد أى شئ انا كنت فقط اطمأن وأسأل الله أن يكون انتقالنا فيه رزق لنا وأن يصلح حالنا الى الأحسن وأن يبعد عنا وعن ولدنا أى شر أو سوء

سكن جديد

بدأت الحكاية وانا طفل حيث قرر والدى الانتقال الى سكن جديد بسبب وظيفة ابى الجديدة التى حتمت علينا الانتقال من الاسكندرية الى القاهرة، كانت البناية الجديدة اقل بكثير مما كنا عليها وفى حي قديم من احياء القاهرة، يبدو على البناية الزمن القديم والغموض ايضا، شعرت بقشعريرة في بدنى وانا اخطو خواتى الاولى بداخلها كنت مازلت طفلا لكن لا املك وقتها الا المشاعر فانا حزين على فراق اصدقائي وانى لن استطيع اللعب معهم مجددا

صعدنا انا وابي وامى حيث الطابق الخامس قابلتنا سيدة بدينة خرجت من الشقه المجاورة ترحب بنا وتقول اهلا بكم انا جارتكم ام سعيد اقيم هنا منذ فترة طويلة واخذت تسال عن اسمى فردت امى انه حسن ابنى الوحيد.

اقتربت السيدة خطوة اخري مكان وقوفنا وبدأت تتحدث بصوت منخفض عليكم ان تحذروا الشقة التى باماكم وتواصل الحديث وهى تنظر الى الشقة المقصودة ثم تنظر الينا.

رد عليها ابى وعلى وجهه نظرة استغراب: وماذا بها هذه الشقة لا يبدو عليها اى شئ يدعو الى القلق.

ردت عليه وهى تتعمد ان لا يرتفع صوتها: تسكن داخلها امرأة مجنونة او الله اعلم قد تكون ملبوسة اللهم احفظنا بسبب موت زوجها وابنها الوحيد فى حادث سيارة ومنذ ذلك الوقت وهى غريبة نسمع اصوات لها غريبة اثناء الليل وعندما تخرج لشراء شئ يبدو عليها الجنون حيث تنظر الى الاطفال بشكل غريب وتتحدث بكلام غير مفهوم.

سمعت امى كلام هذه السيدة فامسكت يدى بقوة وبدا عليها الخوف

اكملت السيدة كان يجب ان احذركم منها ف السكان جميعهم يخافون منها.

وبينما تكمل السيدة حديثها لاحظنا بباب الشقه المقصودة تفتح بهدوء وبطء طلت منها رأس امراة شديدة الجمال لكن معالم الكبر بدا ان يخطو في وجهها والشحوب وذبلان عينها واضح تماما

اخذت تنظر الينا نظرات سريعه وقلق شديد حتى ثبتت نظرها الى وابتسمت عندها اسرع ابي في اخراج المفتاح وادخالنا الى شقتنا سمعنا بعدها اغلاق باب الجارة البدينة والسيدة الغريبة.

تنهدت امى ثم بدات في اعداد النصائح الخاصة بها لا تفتح هذا الباب وانت وحدك في المنزل، اذا رايت هذه السيدة فامشي مسرعا من امامها واذا اقتربت منك اصرخ واسمع الناس بها افهمت؟

هززت رأسي بنعم وانا في داخلى العن هذه البناية فانا طفل لماذا هذا الرعب الذي ساعيشه.

مكثنا في هذا السكن وقت طويل حتى وصلت للجامعه خلال تلك السنوات لم سمعنا اصوات غريبة من هذه السيدة يوميا كلام وهمهمات لها واحيانا بكاء واحيانا اخرى صراخ، كان وجهها جامدا اثناء الخروج لا يبدو فيه اى مشاعر كانها جسد بلا روح تنظر دائما نظرات فارغه وأكنها تنظر الا اللاشئ، ولكن عندما تنظر لى كان..

يتغير معالم وجهها من الجمود الا الابتسامة الجميلة الذي يجعل وجهها يشرق من جديد.

في بداية الامر كنت اشعر بالرعب منها خصوصا بعد ان تبتسم بي بمجرد ان الاحظها تنظر كنت اجري مسرعا داخل المنزل واصواتها ليلا كان يرعبنى كثيرا، لكن مع مرور الزمن تلاشي هذا الشعور بالخوف شيئا فشيئا وايقنت ان هذه السيدة تعذب كل يوم بسبب فقدان زوجها وابنها واخذت ارد لها الابتسامة عندما تنظر لي احسست منها انها تسعد عندما ابادلها نفس النظرة، لكن دائما كان يوجد حاجز ان اتعامل معها حتى جاء هذا اليوم الاول والاخير.

لقاء بعد زمن

بعد ما مرت عشرة اعوام وفى يوم صيفى جدا استيقظ حسن من نومه علي صوت طرقات الباب فاستيقظ متضربا لم يجد احد بالمنزل وطرقات الباب تزداد في قوتها وعصبيتها، اسرع حسن في فتح الباب دون ان يعلم من هو صاحب كل هذه الطرقات

فوجئ امامه بالسيدة الغريبة امامه وعلامات تقدم السن بدت ظاهرة على وجهها اكثر من السابق وخالط اللون اللون الابيض سواد شعرها وتضع يدها فوق قلبها متالمة وتتنفس بصعوبة، واخذت ترمقه بنظرات مترددة.

تحدثت له بصوت ضعيف والالم يعلو جهتها: ارجوك يا بنى ان تاتى معى فأنا أشعر ببعض التعب ولا يوجد أحد معى يرعانى، تحدثت له وكانت عيناها مليئة بالود والطيبة والرجاء منه فى نفس الوقت.

تنهد حسن وفكر سريعا قبل أن يتخذ قرارة بالموافقة، اخذ مفاتيح شقته وذهب معها والتعب يبدو انه يزداد عليها.

دخل حسن شقة السيدة واخذ ينظر الى جوانبها الاثاث عليه قطع القماش يبدو انه لم يستخدم منذ زمن بعيد، صورة كبيرة معلقة على الحائط تجمعها بزوجها فى الزفاف صورة اخرى بجوراها معلقة تجمع الزوجين وطفل صغير بالتاكيد هو الابن، نظر حسن الى الصورة بتمعن وبعض الاستغراب.

وبينما هو ينظر الى الصورة والسيدة تتجه الى غرفتها وهى تستندعلى الحائط فى المشي قالت له نعم انه يشبهك كثيرا يا بنى وانت صغير ربما لو كان قد كتبت له الحياة لصار شبهك ايضا فى الكبر.

لحق حسن بالسيدة وساعدها فى الاستراحة على الفراش وجد على الوسادة بجوارها صورتين صغيرتين لزوجها وابنها والمصحف بجوارها.

تحدثت له وقالت فقدت اجمل شئ فى حياتى. لا بل فقدت حياتى باكلمها بعد انت كنت اسعد زوجة في العالم بزوجها المخلص الطيب والحنون علها وبولدها الذي عندما تنظر اليه ترى كل سعادة الدنيا فيه كنت انظر اليه بقلبي وعينى ويملأ حياتى بهجه وسرور.

بدات دموعها تنهار من عينها بهدوء دون مقاومه وتابعت لم اتوقع ابدا انى سافتقد كل هذا فيه غمضة عين عندما تعرضا الى حادث سير من وقتها وانا لا استوعب انى اعيش من دونهما اتكلم معم كل يوم اشعر بهم بجوارى.

بدت على مالمح حسن الحزن من اجلها وفهم كم المعاناة التى تعيشها كل تلك السنوات فالفقدان في بعض الاحيان يأخذ روح الاحباب معه تاركا الاشخاص في عذاب والم شديد الموت وانت في قيد الحياة لا تشعر بأى مشاعر اتجاة اى شئ يحدث من حولك لا فرح لا سعادة تصبح دائما في اشتياق والم الفراق، فراق الاشخاص المواقف السعيدة والحزينة ايضا مع من نحبهم حتى ريحتهم في ملابسهم .. الفراق يجعل الانسان ميتا نتظر لحظة الوفاة.

زاد بكاؤها وتعبها وهى تقول لقد اشتقت كثيرا لهم دعوت الله كثيرا ان التحق بهم سريعا انا في عذاب شديد من دونهم اعذرنى ان اختفك كثيرا وانت صغير يابنى وبدات تنظر الى حسن وهو يمسك دموعه من الانهيار على حالها.

تابعت حديثها انت تشبه سالم ابنى كثيرا كنت أجده فيه ملامحك اجده في عينيك بدأت تتحدث والتعب يزداد عليها.

قاطعها حسن وقال بصوت مكتوم والدموع تأبي ان تضعف وتنهار ماذا بك يا امى .اتردين الطبيب ام ماذا؟ افعل انا تحت امرك.

ابتسمت له في ضعف والتنفس اصبح صعب عليها لا اريد أى طبيب يابنى انا اعلم انه قد حان الرحيل الى احبائي انا طلبت منك المجئ لاطلب منك شيئأ اخر ليست مراعاتى كما قلت لك.

تنهدت وتابعت اريدك بعد وفاتى ان تدفنى بالقرب من زوجى وابنى ستجد العنوان .وكل المعلومات عنى واوراقي في مجلد تحت هذه الوسادة.

وضع حسن يده تحت الوسادة واخرج المجلد والورق من داخله واخذ يقلب فيه وهو يحدثها لا داعى للقلق يا امى لكن ان شاء الله سوف تكونى بكل خير.

نعم ساكون بخير لكن ليس هنا ولكن مع احبائي الذي دعوت كثيرا في صواتى ودعائي أن التحق بهم.

بدأ تنفسها يضعف شيئا ف شيئا وهى تبتسم ووجهها يبدو انه يزداد نورا وتوهجا والدموع تنساب على وجنتها يبدو انها دموع الفرح بقرب موعد اللقاء الذي جاء بعد زمن صعدت روحها في سلام وهدوء معها استسلمت دموع حسن بالانهيار والسقوط اختارته ليكون الانسان الوحيد ان تحكى له قصتها ومعانتها وان تحمله امانة دفنها.

قام من جوارها وقبل راسها بهدوء وهمس لنفسه ولروحها انه سينفذ كل ما طلبته منه.

❊❊❊❊❊

خاطرة :أصرخ

رشا يوسف

أصرخ ..أغيثوني
يُسمع فقط همسي
تمضي معي شجوني
يومي وليد أمسي
قد دُكت حُصُوني
لم يبق سوى يأسي
خُلِقوا ليحموني
فتلذذوا دهسي
في العار تركوني
وقالوا "فلتنسي"
ياليت قتلوني
ليطهروا دنسي

*****

سجين الكهف.....

عبد الرحيم خير

منذ نشأته وجد نفسه يسكن ذلك الكهف المظلم... الذي لا يعلم كيف دخله ولا كيف له أن يخرج منه ؛ وعلي تلك الظلمة وهذا الضيق الشديد الذي يحيط به إلا أنه يستمتع بالحياة الهانئة الهادئة، لا أحد يقلقه ولا أحد ينغص عليه حياته؛ يقضي حياته كأمير ملك الدنيا وهيئت لراحته كل السبل ؛ فعلي ضيق الكهف ؛ وشدة ظلمته إلا أنه ممهدٌ ومنظمٌ كأفضل القصور وأجملها وبه كل

ما تتمني نفسه ويتخيل عقله...

ماء عذب ينبع من عين جارية يشرب منها كيف شاء ومتي احتاج حتي يرتوي ..

طعامه يجهز إليه ويعد دون أن يكلف نفسه حتي مشقة طلبه ..

عجب عجاب داخل الكهف الذي حوي من الأسرار ما يعجز العقل البشر عن تخيله وإدراكه... .

وكأن صاحبنا قد رتب أحواله علي تلك الحياة وهذه الخلوة ؛ لا يحب أن يخرج إلي الناس ويلقاهم وكأنه لا يحب معرفتهم ولا حتي الاختلاط بهم ؛ يمضي وقته متأملا مفكرا ليس لديه من الهوايات إلا لعب الرياضة، لبناء عضلاته وتقوية جسده النحيل ؛ حين يَمَلُّ من تلك الهواية تثور نفسه فيحاول أن يجرب ويمرن عضلاته فيسدد ضربات متتالية إلي جدار الكهف العملاق لعله يفتح فيه ثقبا صغيرا يري منه نور الشمس التي حرم منها ؛ لكن أني لهذا الجسد الضعيف أن يفعل هذا !!! وأني لهذه العضلات الصغيرة أن تقدر علي ذلك... .

لقد ملّ من طول الانتظار ومن الأيام التي لا تمر ؛ لقد تعب من رتابة الأيام التي تشبه بعضها إلي حد بعيد، صباحه كمسائية لا شيء يتغير ؛ تمر الأيام ولا جديد ؛ أصبح ساخطا علي كل شيء حوله ؛ بعد أن كان قانعا سعيدا بتلك الحياة وهذه العزلة...

أصبح مقتنعا قبل أي وقت مضي أن عليه أن يجد لنفسه مخرجا للخلاص والخروج من الكهف الكبير، الذي سدت له كل طريق وأُغلقت فيه كل الأبواب ومحيت عنه كل النوافذ...

هو لا يعلم من جاء به إلي هذا المكان ولا كيف أدخله إليه ولا حتي الطريق الذي سلكه ليصبح أسيراً كل ذلك الوقت دون أن يعرف طريق الخروج... ..

حقا هو يجد في محبسه راحة وهدوءا لعله إن خرج حرم منهما لكنه مل من الوحدة ؛ مل من رتابة الأيام وتشابهها ؛ أصبح الكهف كأنه سجن يريد أن يتحرر منه ؛ يشعر كأنه أسير وعليه أن يجد طريقة للخلاص

الآن بات يسمع أصوات المارة خلف الجدران يتحدثون ؛ هو ينصت لأحاديثهم لكنه لا يعلم عم يتحدثون فهو أصلا لا يفهم لغتهم تلك التي أعجمت عليه فلا يستطيع فهمها ولا يعرف مقصودها...

لا يجد لنفسه متنفسا في تلك الوحدة إلا تلك اللكمات التي يسددها لذلك الجدار لعله يفرغ شحنة غضبه ذاك الذي ما عاد يقدر علي كظمه ..

هو يعلم جيدا أن ذلك لا يجدي ؛ فيعود مرة أخري يفكر ويتأمل الكهف لعله يوفق لحل يخلصة من وحدته ويسترد به حريته المسلوبه في ذلك السجن الانفرادي الذي ما عاد يقوي علي احتماله... ...

في أيامه الأخيرة أصبح وكأنه يسمع طرقا علي جدران الكهف ويسمع صوت أقدام ولهجة لا يفهمها ؛ لقد تسرب الأمل إلي قلبه من جديد وبات يسأل نفسه ..

هل يعقل أن يكون أحدهم يعرف بوجودي ؟!

هل يمكن أن يكون أحد يسعي لخلاصي وفك أسري ؟!

هو يسمع بين الحين والآخر طرقا ؛ فيسأل نفسه أيمكن أن يكون الطرق علي باب الكهف؛ لكن أني لهذا الكهف من باب وقد تشابهت جدرانه !!

لقد أدرك أنه يجب عليه أن يتعلق بهذا الأمل ليقوي علي تحمل الحياة التي ما عاد قادر علي احتمالها ؛ لكن ما الذي حدث له !!! ألم يكن من قبل فرحا بهذه الحياة سعيدا بها ؟؟!!

المكان هو هو لم يتغير فيه شيء منذ أن دخله ؛ والحياة هي هي ؟!! لماذا أصبح غير قادر علي تحملها بعد أن كان سعيدا بها !! لم يجد إجابة لكل تلك الأسئلة التي تدور في رأسه المتعب؛ فعاد يصبر نفسه مرة أخري... ...

لقد بات يؤمن قبل أي وقت سابق أنه عما قريب سوف يسترد حريته وينعم بها ككل الناس .. ربما هذه هي الأيام الأخيرة له وعليه أن يحاول قدر جهده ليخرج من الكهف ولا يفكر في العودة له مرة أخري... .

لقد تأكد أن هناك من يعرف مكانه ويسعي لإخراجه ؛لكن لماذا تأخر ؟ ما الذي يمنعه أن يخرجني الآن ربما الوقت ليس مناسبا ؛ لكن علي أن أساعده ولو بإشارات يعرف بها مكاني وأني أنتظر الخلاص ؛ الآن يجب أن أخرج لقد أصبح كأنه صحراء لقد جف الماء

من حوله وأصبح الكهف قاحلا لن يستطيع الحياة فيه بعد اليوم...

في اليوم الموعود ؛ أصبح علي غير عادته قلقا مرتبكا يشعر أنه يوم الخلاص والنجاة ؛ يسمع أصواتا تقترب من الكهف وبشدة

لا يفهم شيئا من أصواتهم لكن قلبه يحدثه وكأنهم يعرفون مكانه ويبحثون عن طريق لإخراجه مهما كلفهم ذلك...

لقد تأكد شكه حين سمع أصوات الطرق تتعالي علي جدار الكهف فبدا الكهف العظيم بتزلزل بفعل تلك المعاول والآلات التي بدت وكأنها تحاول أن تفتح فتحة صغيرة في أحدي زواياه

لتخرج ذلك السجين منها ؛ هم باتوا يفعلون ذلك ببطء شديد خوفا من أن تصل معداتهم وأدواتهم لذلك الجسد الضعيف المحبوس فيتأذى بعد أن هشموا الجدار الكبير ؛ بدا يشعر بأن يدا تمتد ناحيته لتزيل من طريقه كل شيء يحول دون خروجه ؛ ويد أخري تحمله برفق قد أحاطت به وطوقته ليعبر أولي خطواته إلي الحياة الواسعة خارجا من بطن أمه باكيا بعد عملية قيصيرية دامت لأكثر من ساعتين...

❊❊❊❊❊

الغرفه المظلمه

دينا الفخرانى

المشهد الأول

منطلقه مبتهجه كطفله فى الرابعه من عمرها .. أركض وألهو هنا وهناك .. خلف الأطفال فى صالة المنزل الكبير والهو الواسع لمنزلنا الكبير...

بفستانى القطنى القصير والذى لوثته الأتربه ولكنى لم أبالى .. أود فقط الركض بانطلاق .. بخطوات طفله مازالت لم تدرك معنى الحريه !

وهناك كان هو .. العم الذى لم أدرك قرابته لنا والذى هو هادئ على الدوام .. كل ما عرفته أنه مرحب به دوما .. كنت أتسائل بعقل طفله عن سبب صمته ..

لم يلاعب طفلا يوما ولا أنا .. لكن هناك .. هناك فى الغرفه المظلمه كان ينتظرنى كلما مررت بها سهوا وأنا أركض خلف الأطفال فيجذبنى قسرا إليها .. كان لالظلام يحاوطنى لكنى كنت أشعر به عندما يرفع ثوبى ويتحسس جسدى .. وأشياء تثير النفور فى داخلى وعندما أتسائل متقززه

_ عمو .. ما هذا !!!

يشير لى بالصمت وحالما ينتهى سيتركنى ألعب .. إذن فلتنتهى سريعا !!

بعض التفاصيل مشوشه بداخلى .. لا أذكرها بسبب الظلام أو ربما عقلى قد تكرم على بمسحها .. لكنى لازلت أحتفظ بالكثير والكثير

يوما خلف يوم .. كان الأمر يتكرر وبصور أبشع .. كان يصيبنى السأم .. أنفر أكثر من أن أعتاد الأمر .. يومها أخبرته أنى سأخبر أمى لأنك لا تتركنى ألعب ..

وكان الرد المزيد والمزيد من القبلات واللمسات .. حتى وددت الصراخ .. لكن عينيه لمعت وسط الظلام كما الشخصيا الكرتونيه التى أشاهدها يوميا .. تلمع ببريق سئ .. أسوء ما رأيت يوما يرعبنى أكثر وأكثر

_ إن أ خبرتها لن تحضرى عرسى وترتدى ثوبك الجديد ..

وبسذاجة عقل لا يستوعب سوى فرحة الثوب الجديد تماما كفرحة الحلوى .. هرولت راكضه أخبر الجميع بجمال ثوبى الجديد وكيف سأكون كأميره صغيره تماما كما أخبرتنى أمى...

سأكون جميله كأمى !!...

المشهد الثانى

مر على تلك الذكريات اثنى عشر عاما .. فيها حفظت وصايا أمى فى الحفاظ على جسدى وعدم السماح لأى أحد بالمساس به .. رأيت غيرة أبى فى كل ما يخص جسدى .. ضربه لذلك الرجل الذى تعمد لمس كتفى ونحن نعبر الطريق .. جعلنى أتسائل ماذا لو علم ابنته هناك من لمس منها الكثير .. الكثير .. وأكثر من مجرد لمسة كتف !

ولازال ذلك العم محبوبا لدى الجميع .. مثال للأخلاقيات الصامته المثاليه... لكن وحدى أنا أرى الكثير من الكلام فى عينيه .. ونظراته تجاهى .. أشعر بنظراته كما يديه تعرينى مهما أثقلت من ثياب ..

أنظر إلى أطفاله كم أنهم بشعين مثله! .. أتسائل هل يفعل معهم كما كان يفعل معى؟؟.. أتخيل من بقايا ما أتذكره من الغرفه المظلمه تخيلات أكثر بشاعه .. بقدر ما كانت ترضينى وأنا أتخيلها تحدث معهم .. بقدر ما أشمئز منها

لكنى لا أشفق عليهم .. أطفال بشعين لأب أبشع .. كيف أجعلهم يمرون بما مررت به .. كيف ؟!.. فكر دار بداخلى أفقت منه بصوت والدتى تقول بحنانها المعهود

_ لم أرى من هو أفضل أخلاقا من قريبك ذاك

ومن خافها أبى مؤمنا .. ومن خلفهم أنا مذهوله كيف له كل هذا الثناء !... اااه لو تعلمون.. ليتكم تعلمون...

ومن بعيد كان هو يقترب بنظرات ثعلبيه أشمئز منها أكثر من الخوف .. مقتربا ببطء ثقيل على قلبى حتى وصلنى ملقيا السلامبإماءه من رأسه .. ورفض أن تمس أنامله أصابعى مبررا نضجى .. وأنى أصبحت أنسه يتوجب إحترام جسدها بعدم المساس ولا حتى أصابعى

ليته لمس أصابعى فقط...

ليته لمس أصابعى !!

المشهد الثالث

اليوم أنا صاحبة العشرون عاما .. بت أجمل وأكثر ثقه .. بت أدرك النظرات وأفهم الهمسات .. شابه جميله يتهافت عليها الخطاب .. وأتعفف أنا من النظر إليهم .. أتباهى بخجل بجمال جسدى وحُسنى ..

مازلت حره أركض هنا وهناك .. لكنى لا أجرؤ على المرور بالغرفه المظلمه !!

أما هو .. أمر عليه يوميا .. فأرى نظراته الخاطفهتجاهى والذى يخفيها خلف قناع التقوى .. يراقبنى من بعيد .. أظنه يشتاق للغرفه المظلمه !!

درست سلوكيات الإنسان وصرت أعرف شهواتهم .. أدرك إنحرافهم أحيانا وأتفهمه .. مامررت به كان حادث ليس مبرر أن تقف حياتى عليه .. هو المخطئ ليس أنا

أنا الأن بأمان .. لن يعيد التجربه .. لن يؤذينى .. أنا قويه .. ناضجه لأمنعه... ليس جميع الرجال مثله .. هو المخطئ .. هو السئ .. سيُعاقب .. لقد مررت بهذا .. لن أتوقف عنده... هو ال

كيف يمكن أن تكون أطفاله بهذه البشاعه .. هل إن حدث معهم مثلى سيتجاوزون الأمر.. سيمرون على الغرفه المظلمه دون خوف .. بالتأكيد لا .. سيكبرون ناقمون على والدهم ..

فيدرك بشاعة مافعله معى .. سيتألم .. وأطفاله البشعين أيضا

أكرههم أكثر من كرهى له .. أود إيذائهم لكن لا أدرى كيف ؟ .. يوما ما سأنتقم منهم .. سيذيقون أكثر وأكثر

جيد أنى تجاوزت الأمر ..

تجاوزت الأمر !!

المشهد الرابع

_ أحبك

وقعها جيد .. أظن أنى سأعتاد سماعها .. أحب ذلك الإهتمام المشع من عينيه .. يرضينى .. كلمات كثيره من الغزل والعشق تثير رغبتى فى الضحك... لا أدرك لما على الرغم من كونها صادقه !!

أنه زميلى بالعمل .. نظراته تطور من الإنبهار إلى الإعجاب .. فالعشق .. ثم الإهتمام .. ونظراتى ضاحكه بفرحه .. تثيره فيزداد عمقا فى مشاعره .. أفكر كثيرا فيما يقدمه لى .. كيف سأقدم له أكثر من ذلك !

إنه مثالى ى كل شئ .. أظن أنى سأتجاهله فلا رغبه لى فى عيش اى نوع من التجارب .. فبالكاد تجاوزت ماضى لا أود تذكره ..

_ أسفه .. لا أستطيع مبادلتك نفس الشعور

هكذا ببساطه سأتخلص منه .. شهيق .. زفير .. نفس عميق .. سأخبره

_ أستاذ !!!

_ أحبك

وباقة ورد جميله مع إبتسامه سمجه .. جعلت الكلمات فى جوفى تتراجع .. لابأس سأخبره غدا ..

الطريق اليوم لوصول كان طويلا .. ممل إلى أبعد حد .. كنت وحيده فى السفر وهذا أكثر ما قد أكرهه .. لا أحب الوحده .. ماذا إن مررت فى طريقى بظلام .. نعم .. عُقده تكونت فى داخلى بتلك العيون التى تلمع فى عُتمة الظلام .

الإختيار الأمثل فى حالتى كان القطار حيث الكثير من الناس ولا وحده .. لم أعد أخشى متحرشا قد يتلمسنى متعمدا وسط الحشود فأنا قويه وأستطيع منعه .. وضربه أيضا ان لزم الأمر

رجل مسن تجاوز الستين رفض بذوق الجلوس لجوارى وسمح لزوجته فى مجاورتى بينما هو جلس سعيدا فى مقابل زوجته

عينيه تلمع بحنين غريب وهو ينظر إليها وكأنه يقول .. هذا موطنى .. بينما تشتعل وجنتيها بخجل وكأنها صبية العشرين .. ليست تلك المرأه والتى على أقل تقدير تجاوزت الخمسين !

لايخشى سؤالها عن وجهتهم أمام الجميع .. لا يخجل من الإمساك بيديها .. كطفل تعلق بيد أمه .. مربنا بائع العطور ملحا فى أن نشترى منه إحداها فتناول الرجل إحدى الزجاجات يشتمها بإشتياق .. قبل أن يقربها من زوجته .. تناولتها فرحه تشتمها بهفه .. كلهفتى على ثوب العيد .. قبل أن تعقد حاجبيها متسائله بحيره

_ لدينا العديد من هذه الرائحه .. فلم قد تود شراؤها

ومازالت نظراته على رقتها وهو يقول بيقين

_ فقط .. شممت رائحه جميله .. تذكرتك فوددت لو تجربها !!

يومها أصررت على شراء تلك الزجاجه .. أرغب بشده فى ذلك الدفء الذى رأيته بينهم .. صقيع قلبى يريد شئ كهذا ليبدله بدفء خالص

أود عيش هذه المشاعر .. أود قولها صريحه

أحبك أيضا !

المشهد الخامس

ثوب ملائكى بحق .. أبيض كالدرر .. الجميع سعيد لأجلى وأكثرهم أنا سعاده .. أكاد أحتضن السحاب من فرط فرحتى .. راقصنى وسط الجموع فابتهجت سعاده .. قبلنى من رأسى فشعرت بالأطمئنان .. لم أعد أخشى اللمسات ولا القبلات .. ألم أقل بأنى تجاوزت الأمر...

تركنا الجميع وانصرفوا .. فبقيت معه وحيد تتقافز الدقات فى صدرى خجلا ووجلا

وضع يده على ظهرى يقودنى غرفتنا لكنى أصررت على الذهاب إلى هناك .. حيث الغرفه المظلمه .. لا تتعجبوا !

فذلك المنزل كان إرثى من والداى .. وزوجى العزيز هو من أصر على تجديده والعيش فيه .. لتظل ذكريات عائلتى تحاوطنى .. وذكريات الغرفه المظلمه أيضا !

لكنى سأنهيها .. هذه الليله سأقضيها هناك .. فأطمس الماضى ..

اقترب من مقبلا عنقى .. يحاول إزاحة ثوبى بينما يقول

_ هذه الغرفه رائحتها قذره .. لكنى سأتحملها لأجلك

_ رائحتها هكذا لأنى دفنت بها طفلين

مازال فى محاولته لفك سحاب ثوبى

_ اممم طفلين... هل كانا جميلين

_ كانا فى غاية البشاعه

ضحك مجلجلا بينما أبادله نظراته بأخرى حجريه .. قبل أن تتحول نظراته .. كلا بل عينيه إلى عينى العم ببريقهما المخيف .. وقب أن أرتجف أخبرنى بنبره ثقيله وأنفاس قريبه

_ إذن فلنجلب إثنين أخرين هنا... اااااه

نظرت الى عينيه بنشوه وأنا أرى الألم واضح بها .. بينما يدى لازالت تلعب بالسكين فى خاصرته . وإن أصبحت زلقه بفضل الدماء عليها

_ لم أكن أمزح

وقع جريحا تحت قدمى لأرى دملؤه أمامى .. هو المخطئ ما كان عليه أن يذكرنى بالعم ..

تجاوزنه لأخلع ثوبى وأبدله بأخر قصير تماما كالذى كنت أرتديه ذلك اليوم وأنا فى الرابعه... ابتسمت برضى وأنا أستمع لطرقات الباب فألقيت بأغطيه قديمه على جثمان زوجى

وذهبت متدللة لأفتح الباب

أستقبل العم قبل أن أتركه ركضا نحو الغرفه المظلمه كطفله فى الرابعه .. وكما توقعت أتانى لهثا .. فقد ذهب المشروب بعقله بعد ضياع أطفاله البشعين .. لم أدرك كيف أخبره أنه ربما ابتلعتهما غرفه مظلمه .. لم يكن ليصدقنى أليس كذلك ؟ لذلك لم أخبره .. ليكن هذا سرنا الخاص !

_ أنا أتذكر ما حدث فى الرابعه .. اود إعادته .. أفعل بى ما كنت تفعله فى ذلك الزمن

_ وزوجك

_ نائم بالأعلى

اقترب منى .. يرفع ثوبى .. يتجسس جسدى .. بينما أنا أنتظر النيران قادمه إلى الغرفه .. بعدما تركت الغاز مفتوح وأشعلت الشموع .. كانت تقترب منى .. هى خير من يدفئ صقيع قلبى..

التهمت كل شئ ولفتنا الأدخنه .. فهمست لعينيه

أخبرنى أنى جميله

_ أنتى جميله .. كأمك !

وازدادت الحراره وانتهى كل شئ... .

_ عمو ألن تتركنى ألعب !!!

*****

المكافأة

جمال الشمرى

-لقد أسقطت من يدي كل الحلول، لقد فشلت.

هذا ما صرح به المهندس أحمد لمديره بعد أن استعصى عليه تشغيل الآلات.

إنه اندفاع الشباب و عنفوانه من أوقعه في هذه الورطة العويصة التي لا يحسد عليها.

حتى الآن هو لا يعلم كيف أبدى استعداده لمحاولة برمجتها و تشغيلها بعد تعذر قدوم الخبراء الألمان من الشركة المصنعة.

هي آلات حديثة ذات تقنية عالية، تم تركيبها عوضا عن آلات قديمة مهترئة.

ركبها و جهزها أحمد قبيل الحرب بقليل،

و تم الاتفاق على مجيء الخبراء و المختصين بعد ثلاثة أشهر.

لكن الحرب الطاحنة المجنونة فاجأت الجميع،

و تم إعلان حظر و عقوبات،منعت الخبراء من القدوم.

حتى دون حظر فلن يستطيعوا المجيء، فالحرب الطاحنة الضروس لا ترحم و لن يستطيعوا القدوم فكل الطرقات و المعابر و المطارات مغلقة.

لقد سدت كل الطرق في وجهه، و لا مهرب من متاهة أوقع نفسه وسط دوامتها.

وسط انهماك أحمد بالمخططات محاولا بكل إصرار إيجاد مواطن الخلل في عمله،يرن جرس هاتفه

-ألو أحمد أنا المدير، لم أرد عليك عندما أعلنت استسلامك، لكن أريد معرفة التفاصيل منك الآن؟؟

-أهلا أستاذ، الشركة الموردة تقدم لي حلولا و مقترحات منذ أسبوع، لكنها كلها فشلت.

-و ماذا بعد؟؟ تعلم جيدا أننا نصنع مادتين غذائيتين أساسيتين لكل الناس هي السكر و خميرة الخبز

نحن في حصار، و مخزون المادتين سينفذ خلال شهرين، يجب أن نجد حلا، أهم شيء ألا يتأثر رغيف الخبز، فنحن المعمل الوحيد الذي يؤمن هاتين المادتين للبلاد الآن، فكل المعامل الأخرى متوقفة.

-كن واثقا أستاذ لن أستسلم، الخبراء يتواصلون معي باستمرار و وعدوني بحل نهائي اليوم و أنا أنتظرهم على النت.

- على بركة الله، واثق منك و أتفاءل بك و لن تخذلنا، أتمنى لك التوفيق

-شكرا أستاذ للثقة.

ساعات انتظار و ترقب، و أمل أن يأتيه الحل سريعا،

هو مهندس شاب طموح، لا مكان في قلبه لليأس، لا يهدأ و لا يستكين، و لم يتعثر يوما، الحلول تأتيه حتما و لو استعصت عليه أحيانا لأيام أو أسابيع، لكنها تنقاد حتما لإصراره و مثابرته.

تجاوز الخامسة و الثلاثين من العمر لكنه بحيوية مراهق.

عنفوانه لم يهدأ أبدا، لم يتراجع رغم قسوة الظروف أحيانا، و وحدته و عزلته حتى في عمله فلا معين و لا سند يقف إلى جانبه، أو حتى يشاركه أفكاره.

*الساعة العاشرة ليلا :

لازال أحمد متابعا أعماله و يراجع المخططات، متجهزا لرد الخبراء.

يرن جرس تنبيه جواله، رسالة على الماسنجر، من كبير الخبراء:

"المهندس أحمد، لقد راجعنا المخططات و قطع الآلات و عملها،

استعصى علينا الحل،أتمنى أن تراسل غيرنا من شركات مختصة.

نتمنى لكم التوفيق."

لم يستغرب الرد و لم يحبطه، و كأنه كان متجهزا له.

لا بد الآن من المغامرة و المجازفة، وتلك الحلول التي قدمتها و رفضها الخبراء على النت من الشركة الموردة و غيرها،سأجربها الآن.

"لا مكان لليأس، و أولئك الغرباء لا يتميزون عنا بشيء، سوى احتكارهم لعقولنا و مستقبلنا."

صارح نفسه وجهز عدته للغد،

هناك عمل ما سأقوم به، رغم عبثيته و سذاجته سأفعل و سأنجح حتما.

غدا صباحا يأتي المدير و آخذ منه تصريحا بالمتابعة بمفردي بعيدا عن مراسلة أحد.

نظرة أخيرة إلى المرآة، ليرى علامات الإصرار تكسو ملامحه، نام وهو يحلم بضجيج و هدير الآلات.

*الساعة التاسعة صباحا :

تم أخذ الموافقة بالعمل وفق نهج جديد قرره أحمد، حسب خبرته و فطنته و تمعنه بكل التفاصيل .

ساعة واحدة فقط تمر، تم استبدال دارات الكترونية مدمجة، يظن أحمد أنها المسؤولة عن الخلل.

الآلات الآن جاهزة للتجريب، هل سينجح؟؟

العمال يقفون

أمام لوحات التشغيل.

-شغل!!!!

أتاهم الأمر من أحمد!!!

تم الضغط على زر التشغيل.

إنهاا تدووووور .. تدووووور

تدور متثاقلة و ببطء، لكنها تعمل ضمن البرنامج المجهز لها بكل دقة و ثبات.

صرخ العمال و معهم أحمد، دمعة انتصار و فرح تترقرق، سجدة لله منه و من العمال جميعا.

و دمعات أحمد لم يوقفها هدير الآلات بل زادها ألقا و فرح.

يحمل فجأة من رفاقه على الأكتاف،

و لفة النصر حول آلات تحدته فانتصر عليها .

لم يخذله عقله و لم يشل ساعداه .

و ها هو الآن يقطف ثمرة عزيمته.

*بعد ساعة من التشغيل:

يأتي المدير و يحتضن مهندسه العبقري و يطلب منه أي أمنية ليحققها له الآن و فورا

-لا أطلب شيئا أستاذي، لقد نلت ما أريد، يكفيني طربا أن أسمع سيمفونية الحياة من هدير الآلات الآن.

-خلال يومين سيأتي الوزير، سأطلب لك منه مكافأة مجزية، تستحق يا أحمد، لم و لن تخذلني.

-أريد فقط ثمن ثلاجة للبيت، تعلم أن بيتي سرق و أحرق و تم تهجيري، و الأسعار الآن تضاعفت عشرات المرات

هذه أمنيتي منكم ومن الوزير فقط

ابتسم له المدير بامتعاض، و شد على يده منتشيا هو الآخر بإنجاز غير مسبوق.

للمرة الأولى، آلة من هذا النوع تبرمج و تشغل من قبل مهندس الشركة، و ياله من فخر و رفعة.

*الساعة العاشرة صباحا من اليوم التالي للتشغيل:

دون سابق إنذار و لدواع أمنية، يباغتهم الوزير بزيارة مفاجئة للاطمئنان على حسن عمل الشركة .

زيارة غير معلنة، فالمدينة الصناعية هنا على خط تماس بين الفئات المتحاربة و لا بد من سرية تحرك أي مسؤول على أي طريق،

للأسف الحرب على أشدها، بل تزداد ضراوة و شراسة.

علامات الحزم و القسوة في محياه، و عدم الارتياح واضح من نظراته و تكشيرته.

و كأنه قادم إلى ساحة حرب لا أن يرى إنتاجا عاد للحياة سيرفد اقتصادهم بأهم منتجين لهذا الشعب المقهور ألا و هما السكر و خميرة الخبز.

يذهب مباشرة مع مرافقيه و حرسه الخاص إلى مكان الآلات الجديدة.

و كأن أحد يعلم كل خبايا المعمل و أعلم بها الجهات المختصة و منهم الوزير حتما.

أحمد منهمك بمعايرة و ضبط الآلات،تعمل بشكل ممتاز لكن لا بأس من بعض اللمسات أحيانا.

تأتي الوفود و على رأسهم الوزير و المحافظ و مديرهم العام.

لا سلام و لا كلام و لا تحية، مرافقة الوزير و حاشيته تبعد الجميع، الآلات تعمل بانتظام.

يحاول أحمد أن ينبههم لأمر، لكن الحرس يبعده.

-الآلات وصلت لمرحلة الغسيل بالبخار، سيحرقهم البخار و يبلل البدلات الرسمية.

لم يستمع إليه أحد.

من الواضح أن ضجيج الوفد و الآلات غطى على نداءاته.

و بالفعل بخاااات متواصلة من بخار رطب و ساخن نسبيا احتوتهم جميعا و ضاعوا في ضبابه الكثيف.

الحرس الخاص يسحب الوزير المكفهر و المشمئز و الغاضب الآن.

تمتمات و كلام غير مفهوم، لكن من الواضح أنه يلعن الساعة التي أتى بها إلى هنا.

ضحكات و ابتسامات من أحمد و عماله لكنها مكبوتة، أخفوها خشية المحاسبة فهذا وفد رسمي بكامل هيبته.

ينسحب الوفد المرافق و البعض يعتصر بدلته بعد تلك المهزلة التي حدثت.

يشير أحمد لمديره يذكره بالثلاجة، رسم له بالهواء بحركات يديه مستطيلا كبيرا.

أومأ له المدير بالإيجاب، لكن الظاهر أن الوزير ولى مسرعا باتجاه العاصمة فقد أحس بحرج،

و لا يزعجه الآن سوى سخرية الكل منه،

و ليذهب الإنتاج و الخبز و الخميرة و السكر إلى الجحيم.

*خمسة أيام تمر :

الآلات تعمل بشكل ممتاز و الإنتاج تحسن عن السابق،

و لا أنباء عن مكافأة وزير و لا حتى مكافأة شركة.

هناك إشاعات تفيد بحفل تكريم حصل بالوزارة للمدير و معاونه، و مكافأة مجزية جدا، ربما هو بعدهم بالمكافأة، ثمن ثلاجة فقط على الأقل!!

لكن لا دلائل و لا بشائر،لكن أيضا لا امتعاض من أحمد، حقق إنجازه و انتهى الأمر.

*اليوم العاشر من التشغيل:

رسالة على الماسنجر تصله من الشركة الموردة:

"السلام عليكم أستاذ أحمد، نهنئك لإنجازك غير المسبوق في برمجة و تشغيل آلاتنا التي وصلتكم، رغم عجزنا و فشلنا في إيجاد حل، لم تعجز أنت.

لك منا كل التحية و التقدير،

نعلمك بأننا جهزنا لك عقد عمل لدينا كمهندس مشرف، و هناك سيارة ستنتظرك غدا صباحا أمام بابك، ستذهب بك إلى لبنان.

أيام قليلة بعدها هناك، و تكون تأشيرة الدخول و تذكرة الطائرة في حوزتك.

نرحب بك و بأمثالك بيننا."

"نود إخبارك أن حيتان القطاع الخاص متزعجة من انجازك و تم رفع تقارير ملفقة و كاذبة عنك."

"هذا ما أخبرنا عنه وكيل أعمالنا في بلدك

و قد جهز طريق خروجك بسلام غدا من بلدكم المدمر."

"نتمنى لكم السلامة و أن تخرج من مأزقك بأسرع وقت."

الآن أسقط من يده كل شيء فعلا،هل حبه لوطنه و لأهله و عمله جريمة يحاسب عليها قانون الفساد أيضا.

عادت أصوات القذائف و الرصاص إلى مسامعه.

لم يكن يسمعها قبل، كانت أفراحه و سعده و إنجازه يخرسها.

الآن لا إنجاز يجزى و لا مكافأة تنتظر، و سيبقى على ثلاجته المهترئة، هذا لو تعنت و بقي في هذا البلد المدمر تماما!.

عدة تساؤلات خطرت على باله:

- ماذا لو كافؤوني بتلك الثلاجة، هل سأبقى رغم كم الدمار و الفساد،

-هل سيعتقلونني فعلا، التهم الملفقة كثيرة، نحن في حرب، تكفي كذبة لأزج في السجن دون تحقيق و دون حتى اتهام .!!!

*يعلن الفجر نوره و أحمد لم ينم، عادت أصوات القذائف و الدمار تقض مضجعه، زمور سيارة في الأسفل، إنها من ستقله إلى لبنان و بعدها الطيارة إلى ألمانيا .

لا يريد الذهاب، لولا أن قذيفة هاون سقطت على المبنى المجاور.

زمور السيارة يطلق تنبيهه الآخير.

أحمد ينزل مسرعا خوفا على حياته هذه المرة، و كأن الرصاص و القذائف تتقصده.

تسرع به السيارة بعيدا، و على مشارف العاصمة يلقي النظرة الأخيرة،

ثمة نور ينبثق، يخنقه دخان و رماد كثيف

العاصمة تلتف بعاصفة من قذائف و لهب و نار.

وطن مدمر و غد بلا أفق.

و لا حياة هنا للبسطاء و الطيبين.

طموح الشباب

ومن يتهيب صعود الجبال
يعش أبَدَ الدهر بين الحفر
إذا ما طمحتُ إلى غاية
ركبتُ المُنى ونسِيت الحذرْ
ولم أتجنَّب وعورَ الشِّعاب
ولا كُبَّةَ اللّهَب المستعرْ

فعجَّتْ بقلبي دماءُ الشباب
وضجَّت بصدري رياحٌ أُخَرْ
وأطرقتُ أصغي لقصف الرعودِ
وعزفِ الرياحِ، ووقعِ المطرْ
وقالت لي الأرضُ لمّا سألت:
أيا أمُّ هل تكرهين البشرْ؟
أُبارك في الناس أهلَ الطموح
ومن يستلذُّ ركوبَ الخطرْ
وألعنُ من لا يماشي الزمانَ
ويقنع بالعيْشِ عيشِ الحجَرْ

#أبو_القاسم_الشابي

*****

(عرس الذئب)

مرام مرام

مؤلم حالك وأنت تبتلع الغصة، وتحبس الدمعة، ثم تردفها بابتسامة مصطنعة، تجبر ثغرك على التحلي بها، وهو يرفض ويحتج كما احتجت من قبله روحك.

والعجيب أن الجميع يقولون لك ابتسامتك ساحرة وهم لا يعلمون ما تخفيه كواليس تلك البسمة الآسرة... !

في ذلك الصباح وبعد أن فرغنا من تناول الإفطار، حمد الله وأثنى عليه كثيرا على خلاف عادته، ثم نظر إليّ نظرةً ساجية طويلة، تحمل الكثير من الأسى والشجن المختلط بالحنين والمودة، وكأنها نظرة مودع ثم قال بصوت تخنقه عَبرة، ربما بدأ العدّ التنازلي وقارب موعد سفري الطويل، وقعت كلماته كالصاعقة القاصمة لي، ونظراته التي انغرزت كسكين نحر الوتين، تمالكت نفسي بصعوبة واحترت ماذا أقول هل أواسيه أم أواسي نفسي التي تكاد تنهار، ولكني بشجاعة لا أعلم من أين جاءتني، اقتربت منه وبقبلة حانية على جبينه قلت له وأنا أجبر نفسي على التبسم وحبس الدمعة ؛ ماهذا الكلام يا أبي العزيز؛ المؤمن لا يقنط ولا ييئس من رَوح الله، ستُشفى قريبا؛ إن رحمة الله قريبة من المحسنين...

ثم اتجهت مباشرة إلى النافذة لأفتحها بحجة أن الجوَّ جميلٌ، والحقيقة أنّني كنت مخنوقة، فقد أردتُّ الهروب، وأن أشيح بوجهي عنه بطريقةٍ لبقةٍ، وما إن فتحتُها حتى أدركتني ألطافُ الله الخفية التي غشيت روحي ؛ دائما قضاء الله فيه لطفٌ ومن اللّطفِ أن

تدرك ذلك اللّطف، وتفقه الأغشيات الرحيمة والسكنات المطَمئِنةِ ..

يا لله كم كانت السماء جميلة وقريبة، وكأنها تكلمني!

لقد أخذ المنظر الآسر بتلابيب روحي وطافت بي ذكريات الطفولة...

جدائلُ شقراء وطفولة عذراء تناغي الغيث الصبيب ..

العصافير تشدو النّغم الفريد ..

والكون تغنى وارتدى الثوب القشيب...

تزاوجت الشمس بالغيم في طقس مهيبٍ

حينها جادت السماء بقطر شآبيب..

تعالت الضحكات والهتافات، ها قد حل عرس الذيب

عرس الذيب ...

لم أكن حينها لأتوقف عن شدو الأهازيج

حتى تنقشع الغيوم وتطل الشمس بالترحيب

لتختفي أسطورة عرس الذيب ؛

لكنها بقيت في الوجدان محفورة كالنّقش في الأخاديد...

مرّ المشهد بمخيلتي بكل تفاصيله وقد منحني نشوة وبهجة غامرة ، شفاهي كانت تشدو بشدو الطفلة المبتهجة بمنظر عرس الذئب ..غير أن صوت والدي كان كالمنبه الذي أعادني للواقع، التفتُّ إليهِ فوجدته مبتسما وعيناه لهما بريق وكأن صوت نشيجي المختلط بدقات المطر ونسمات الهواء العليلة قد أصابت روحه بتوهج هو في أشد الحاجة إليه ..

قال: يابنتي هل تعلمين حقيقة أسطورة عرس الذئب؟؟

قلت: لعل القدماء قصدوا بها اجتماع النقيضين وانجذابهما لبعضهما حينها يتحول الذئب إلى حِمل وديع،

قال: وقد يتحول الحمل الوديع إلى فريسة ولقمة سائغة لذئب شرس ..!

قلت: العبرة من الأسطورة أن تزاوج النقيضين كانت له نتيجة مبهرة وغير اعتيادية، ألا تعتقد أننا بحاجة لطفرة من نوع ما حتى ننتج ذلك الشيء المختلف المبهر؟؟ والحقيقة يا أبي أنّي أفضل أن تبقى الأسطورة كما هي غامضة ساحرة تثير فيّ الدهشة كلمّا أمطرت السماء والشمس مشرقة ..

لكن محاولتي في الحياد عن الحوار باءت بالفشل، كيف لا والمحاور رجلٌ أفنى حياته في التدريس وكان شغوفا بعمله، والواحد منا حين يمارس عمله بشغف فهو لا إراديا يصبح كالغيث أينما وقع نفع ..

قال: يحكى أنه كانت ناقة وضحاء كالقمر الوضاء تعيش في بادية قفراء، قررت يوما التغيير و المسير نحو الروضة الخضراء لتتنعم بفيئها وتستظل بظلها، وما إن قاربت المقصد وقد أجهدها بعد المرصد حتى لمحها ذئب مخضرم ماكر مجرم، اقترب وبخبث قال: مرحبا بنت الصحراء، سليلة المجد و البهاء، أراك قد مَسَّك الأرق وإني عليك مشفق.

أنا ملك الغابة وخادمك إن كانت لك عندي حاجة، فصدقته المسكينة و اتّبعته تئزّ الأرض برعونة، وأرسل الذئب في الغابة غرابيب موكلة بالصياح، تدعو الحشود لحضور الأيام الملاح، وشهود قران الذئب على الناقة ..!

وحلّ اليوم المنشود وحضر الشهود والقاضي النّمس، الخبير في الطّمس، أما الحشود فقد علت وجوههم الحيرة، ثم إنّ حكماؤهم صمتوا وسفهاؤهم صفّقوا؛ وفي قرارة أنفسهم يعلمون بمكر الذئب وأنه لا يحفظ العهد؛ وما قرانه بالنّاقة إلا ليجعلها مطية يستحل أرضها ويجعل من بني جنسها صيدا ..

وبينما هم في غيهم يتراقصون وقد اجتمعوا على الظلم وأقرّوا به ؛ حلّت عليهم اللعنة ؛ فمارت السماء موراً وأمطرتهم بوابل تترى ثم اشتّد فيح الشمس حتى أحرق الوجوه فأصبحوا

هلكى بين غريق منكوس ومشوّه مطموس ..!

والعبرة من الحكاية أن من باع أصله باستهتار اشتراه العار وألبسه ثوب المذلة والشّنار ..

قلت: و نحن من نعطي للظالم الحصانة و للظلم حق التواجد والمكانة ؛ ولو أنكر المنكرون لما حلّت بالشعوب العقوبات والمهانة ..!

الله يا أبي قصة معبرة جدا وبما أنك حملتني على بساط الحكايا و الأساطير المرايا، وسافرت بي إلى عالم الحيوانات الناطقة ؛ ما رأيك بوجبة دسمة من التراث الشعبي القديم لعلها تنعش المزاج المتعكر الرّميم..؟!

تبسّم وقال: يُكسر فؤاد الرجل حين يفقد أمّه، ليأتيه الجبر على هيئة ابنةٍ...

***

بكت السماء ذات غداة تنعى الحقيقة الخرساء..!

حقيقة طهرٍ، ترنّح يوما يسأل الاستكانة

الخير والشر هل يجتمعان

أيحضن ناسكٌ عربيدا متآخيين..؟!

وإذ بحقيقة الحمقاء

التي باعت أصلها باستهتار؛

فاشتراها صاحب شر مكّار،

ثم ألبسها ثوب مذلة وشنار..!

وحقيقة الغوغاء

صفقوا للظالم فمنحوه الحصانة

وسكتوا عن الظلم فأعطوه حق التواجد والمكانة

فاستوجبوا لأنفسهم ٠المهانة..!

حقيقة النوازل

انحنى الحق للباطل ورفع له الراية؛

وترك الإنكار أهل العلم والدراية،

فحلت لعنة السماء سنّة كونية وآية.

❊❊❊❊❊

زهرة برية

منى عز الدين

احتضنت سعادُ باكورة أشعة الشمس بفرحةٍ مبهمة المعالم؛بعد أن قضت شطراً من الليل تستعجل دقائقه تارةً، وتغطّ مع أحلامٍ جميلة تارةً أخرى، وبعض الكوابيس تتخلل الاثنتين.

رفعت رأسها إلى السماء وتركت خصلاتِ شعرها الكستنائيّ لمداعبة نسمات الخريف محاولةً استحضار خيال طفلٍ لمس وجنتها يوما بحنانٍ، ترك دفئاً في قلبها ولسعةَ صفعة أمها على وجهها.

كانت قد قضت شطرا من حياتها وهي تحاول تمييز الدفء عن الحرقة مع كلّ قصة حبّ ترويها صديقتها، أو نظرة إعجاب من أترابها، فتعود أدراجها إلى ثلاجة المشاعر كي تضمن الصلاح الذي أرادته أمها.

هي تحبها كثيراً وتتمنى لو كانت احتضنتها منذ ذلك اليوم ففي الحشا صقيع وفي منزلها زمهرير يذكرها بمقولة كانت قد قرأتها لفاستون باشلار (في القصور تنعدم الألفة)

إنه بيت يخلق انطباعا خريفيا؛ فناؤه صامت دوماً وتلك الطفلة الوحيدة نشأت فيه بين أفاريز وأعمدةٍ وتماثيلَ رخاميّة.

تحسدها رفيقتاها الوحيدتان على أرض مرمر يرون فيها بريق الشمس على الثلج بينما لاتشعر هي سوى بصقيع الثلج.

في بيت ضمّها مع أبٍّ ذائع الصيت بمركزه المرموق في الدولة،ربما أكسبه بعض الصلابة التي تجذّرت هناك في عمله وتبرعمت ثلجاً على أرض بيته، وأم يكسوها الوقار دوماً مع مسحة

حرمان يفضحها جوع العينين لنظرة حنان.

فتحت سعاد عينيها بعد جولة التفكير تلك لتلحظ أسرابا تحجب السماء بأجنحتها تغادر إلى مناطق أخرى أكثر دفئا تلامس السحاب، فتفاءلت ورسمت شفتاها المكتزتان ابتسامة رضا تغازل فيها أملا بأن تهاجر كأسراب اللقلق لأماكن أكثر دفئا، فلربما كان زهير الموطن الدافئ الذي سيحتضنها بعد طول صقيع.

زهير شاب في الثلاثين من عمره، تنضح الفتوة في جسده الممتلئ باعتدال وتبدو الطيبة في عينيه الواسعتين اللتين احتل السَّواد معظم محجريهما،ممّا جعل لنظرته سحراً خاصاً عميقاً أسرها فقد تخيلته بشكل أو بآخر بطلا من أبطال الروايات التي تقرؤها ولابدً إذن أنه سيكون مثلهم ؛ لهذا فرحت فرحة عارمة بموافقة أهلها عليه كونه ابن صديق والدها وعلى خلقٍ، ثم إنها قد توقعته رضوان جنتها الأرضية

رغم أنها لم ترَ منه أية إرهاصات لهذه الجنة القادمة.

عندما همست لأمها مغالبةً خجلها؛

-أمي إنه لم يسمعني كلمة غزل، ولا لمحت في عينيه بريقا كذلك الذي أراه من الخاطبين على شاشة التلفاز.

نهرتها أمها قائلة:

-هذا كلام لايليق بكِ!، ثم إنّه شاب محترم لن يظهر لك ذلك.

هيّا عليكِ اليومَ ألا تفكري إلا بزينتكِ، وجمال طلتكِ أمام الحاضرين.

أتى المساء بأنوار وزينة وموسيقا صاخبة، وبدت سعاد كالوردة البيضاء تتهادى مع نسمات التصفيق، وعبارات المدح تشوبها بعض المجاملة.

هاهي الآن وجهاً لوجه أمام زهير، تتابع بشغف نظراته وحركاته ؛تتحرّى فيهما ماسمعت من مغامرات صديقتها سوسن، وغراميات نور تارةً، وتتذكر ذلك الكم الهائل من

الرومانسيات المخزنة في ذكرياتها من الروايات تارةً أخرى.

لكنها لم تجد لاهذه ولاتلك.

تقدم نحوها بهدوء وقبّل جبينها، ثم طلب منها أن تتوضأ لأداء ركعتين اتباعاً للسنة وطلباً للبركة.

_ماهذا!، هذا المقطع ليس من السيناريو الذي روته الصديقتان، ولا من إحدى مشاهداتها للأفلام، ولا سمعته من أمها.

أمها.... آه أمها.. الآن تذكرت كيف أنها لم تناقش أبداً أية مسألة مع أمها، ولا حتى أمورها الشخصية التي كانت تشاور فيها صديقاتها.

لطالما قالت لها؛

"أنت زهرتي البيضاء"، فحرصت أن تكون أمامها كذلك دوماً.

قطع عليها شرودها صوت زهير يناديها، فهبت مسرعة وهي تتمتم: نعم وأمامه يجب أن أكون تلك الزهرة البيضاء.

تعثرت وهي تحضر له قالب الكاتو، ولجمها الفزع عن النطق عندما تطايرت الكريمة على وجهه، تسمرت في مكانها جاثية متوقعة التأنيب، لكن ضحكة مدوية صدرت منه جعلتها ترفع رأسها ليعاجلها بقبضة من الكريمة مسح بها خدها، ضحكت بفرحة طفلة نجت للتو من تلك الصفعة فلأول مرة لا تلقى تأنيبا على فعل خاطئ.

مرّت الأيام.. ومن ثم شهور، مرت بنفس المشاهد المكررة تمثلها طوال النهار، ثم تعيد تقييم الشريط في الليل، وتقارنه مع أشرطة صديقاتها وأفلامها، وهي تقول؛

- زهير شاب طيب ليس بالسيّء أبداً، ولكنه لايشبه من حلمت به، وحياتي مريحة، لكنها لاتشبه مايُعرض هناك على مسرح آخر من مسارح الخيال.

ولم تمتلك الجرأة بعد لتخبره كيف تحب أن تكون حياتها فقد اعتادت أن تزين كلمتها

جيدا كي لا تنزل قيمتها في ميزان المثالية أمام أحد.

حبست واقعها في قالب بارد جعل بينها وبين زوجها حاجزا رغما عنها ومن خلف الحاجز كانت تهمس في نفسها ليته يفعل كذا وليته يقول كذا.

لم يغب ذلك الشرود والبرود عن بال زوجها وظنّ أنّه بسبب انشغاله الدائم في عمله، وبما أنّه لاحظ ولعها بالكتب أهداها بطاقة اشتراك في المركز الثقافي تخولها استعارة الكتب وقراءتها هناك إن أرادت .

على طاولة مستديرة بجانب النافذة في نهاية غرفة المطالعة اتخذت مجلسها الذي باتت تتردد إليه كل يوم، وتستغرق في القراءة بينما عينا المشرف المسؤول تراقبها؛

_اختياراتك رائعة سيدتي

فاجأتها الجرأة في اقتحام جلستها فرفعت رأسها واكتفت بإيماءة الموافقة مع الشكر لكنّه سحب كرسيا وجلس قبالتها؛

_تقريبا عرفت ذوقك في القراءة، فما رأيك أن أختار لك ماتقرئين مع نبذة خفيفة عن الكتاب

_جميل جداً سأكون شاكرة لك

أصبح لرحلة المكتبة رونق خاص.

لم يعد الكتاب مؤنساً لها فحسب، بل أحست أنّه أهداها من بعض صفحاته بطلاً أدمنت العيش معه بين الكتب فكانت على نظرته تنسج رواية أخرى تعيشها لأول مرة خارج أسوار الحماية التي كانت مضروبة حولها، مما جعلها عاجزة عن حماية نفسها من الوقوع في تلك الهوة التي اتسعت، فماعادت مقارنة زوجها مع شخوص الخيال بل بات له منافس من الواقع، شخص كانت تظن أن أمثاله لا يغادرون دفتي رواية برومانسيته الحالمة وثقافته الواسعة.

كل هذه الأفكار تراودها وهومنهمك بإحضار كتاب لها،تقدم نحوها وسألها بمكر؛

_ هل قرأتِ (وسادة الريش) لأوراسبو كيروغا ؟

_نعم منذ زمن وتأثرت بها كثيرا

_احذري إذن من حشرة تندس في وسادتك

_هه هه أنت تعيش في أجواء الرواية مثلي، اطمئن أفتشها جيدا

_ليس كل مايمتص عافيتنا حشرات فبعضها أفكار تقتحم الوسادة كل ليلة رغم أنها من الريش

شردت سعاد مع حديثه، وترقرقت دمعة من عينها كان ينتظرها فعلا؛ ليقترب ويمسحها بمنديله ويتبعها بلمسة دافئة على خدها أعادت لها دفء لمسة طفولية، ازدردت لعابها وتعرّق جبينها وارتعشت شفتاها حائرة من ردة فعلها، لاعقةً خيبتها وهي تحادث الصمت بأمنيات تمنت لو استطاعت أن تبقى فيها بعقلية طفلة تتحفز عند المنعطفات لاعتقادها أنّ أحدهم سيفاجئها، فتنفجر ضاحكة أو تصرخ متظاهرة بالمباغتة، لكن باتت المنعطفات مخيفة في درب عمرها بعدما تعلقت بين الأرض والسماء متعبة من التسلق عكس الجاذبية باحثة عن لذة شقية، لكنها تنحدر فجأة على منحدر الخيبة لتقع في مستنقع الندم.

ولم يتسنّ لها هذه المرة المكوث في الخيال، فقد انقضت على مجلسهما سيدة في العقد الثالث من العمر شاحبة الوجه شاردة النظرات رمت الكتب بحركة هستيرية وهي تصرخ؛

_تحملت خياناتك كلها واعتدت على طابور النساء في حياتك

لكن أن تخون أبوّتك فهذا لا يطاق، ابنك المريض وصلت حرارته للأربعين وأنت تُسوّف في أخذه للطبيب ولم تترك لي مالا لأفعل ذلك.

سقط قرطٌ من أذنها و قطرات دم مع كلماتها الأخيرة فقد عاجلها بصفعة أطارت صوابها وأعادت سعاد إلى صوابها.

ركضت بأسرع ما ركضت في عمرها كله وكأنها تنفض عن وجهها دفء اللمسة ونار الصفعة التي استذكرت فيها يد أمها.

تعثرت في حديقة منزلها وسقطت أرضا في بركة موحلة وبقربها كان قد تساقط بعض الياسمين وأوراقه مقلوبة إلى أسفل، أخذت تجمعهم بيدها وتتساءل؛

- لماذا لا يعود برعما كما كان ؟!

ثم استسلمت لإغماءة أفقدتها وعيها.

هبت نسمات باردة من نافذة غرفتها لتستعيد وعيها على سريرها ومخدة الريش التي حضنتها بحب ودفء هذه المرة، فقد كان هنا زهير بجانبها وبابتسامة عريضة على وجهه قال؛

-لقد اضطررت اليوم أن أعاملك كطفلة وأبدل ملابسك الموحلة كي لا تفسدي بياض سريرك، لكنك قابضة على زهرات الياسمين وما أردتِ الإفراج عنها

ضحكا معا وضحكت الطبيبة التي كانت بصحبته بصوت عالٍ قائلةً لا بأس فهو تدريب لك على دور الأبوة؛ أنتما الآن مشروع أب وأم

مبارك لكما

فجأة أُضيئت الغرفةبنور أمل قطع سلسلة تخيلاتها ويد زوجها الحانية تربت على كتفها.

أطرقت قليلاً وهي تحمل وردتها البيضاء التي قاربت على الذبول؛

- ترى هل آن أوان الصباح ليمطرها بالندى !؟

هل آن لها أن تبوح بكل مافيها وتطلب السقيا!؟؟؟؟

أجابتها نظرات دافئة من زوجها احتضنتها بمودة إنه بطلها لكن هذه المرة من الواقع.

***

بين الواقع والخيال

وَتناثرتْ بَينَ الخَيالِ خَواطرٌ
وَهَواجسُ بِطفولةٍ تَتَعذَّبُ
هِيَّ قُبلةٌ بِبَراءةٍ وَتنهدٍ
وَسُعادُ تَرنُو والمَشَاعِرَ تُسكَبُ
والأمُّ تَصفعُ بالمحَبَّةِ خَدَّها
والرُّوحُ تسَرحُ والمَواجِعَ تُكتبُ
مَا بِينَ أحْلام تَأكدَ زَيفُها
وَحقِيقَة تَدنو إلِيَّ وَتقربُ
إنَّ المحَبةَ في الحَقيقةِ وَاقعٌ
إنَّ الخَيالَ مَع المَشاعرَ تُثقَبُ
وَحليلة لِحليلِها تواقةٌ
تَأتي إلينَا زيفِ قَولٍ تُرقبُ
قَد خَابَ ظَنِي اذْ تَمسمَر وَاقفاً
زَيفُ العواطف تُستبانُ وَتقلبُ
وَزهيرُ قَد ضَمَّ الفُؤاد بِعطفهِ
زَادَ الحَنانُ بِواقعٍ لا يَنضَبُ

تمت

بقلم؛ منى عز الدين

الأبيات الشعرية

حسن أبو فردة

❊❊❊❊❊

" أَعْطِنِي حُرِّيَّتِي "

إستثنائية الفصول

بعد ليلة طويلة افترشت فيها الذكريات، علّها تطفئ لهيبا عاد بعد قطيعة، يسرق هناءها المفترض.

ثوان مرت، لحقتها دقائق من الانتظار..

لم تنزل دمعة تغسل عنها الهموم أو تقاسمها وخزات الألم.

وقبل أن تفتح عينيها يائسة، سرقت حاضرها ذكرى خاطفة.. زلزلت خاطرها وأيقظت كل الهواجس.

- إياك أن تبكي.. الدّموع مطيّة الضّعفاء.

أفلتت من بين شفتيها ابتسامة ساخرة.. فقد كانت تلك جملة أبيها التي حفظتها على الدوام، وهي آخر عهدها بالدّموع وبالواقع كذلك.

على بلاط ندم قاسٍ، تحمّل جسمها النحيل لما يزيد عن سبعةَ عشرَ عاما من عذاب الفراق، مستلقية بلا راحة على أشواك الحنين، تحيط بها جدران لا معالم للحياة بها كما قلبها البارد.

رفعت يدها في حركة مألوفة ضجرة، تحجب عن عينها شعاع صباح تسلل من النافذة يقاسمها المكان..

بادرها التحية بأمل، فأعرضت عنه ثم تدثرت باليأس هاربة من الوقوع بفخه.

فجأة.. رنّ بذاكرتها موعدها مع السعادة، تأهبت كل حواسها في طاعة لدقات قلبها

المتلهف عشقا، وأزاحت عقلها جانبا..

كممته قبل أن يسممها بوساوسه المعتادة ويصدر أمرا باعتقالها.

بينما تركت عقلها سجين الغرفة، أغلقت الباب قبل أن تتردّد.. ثم رمت مفتاح الزنزانة بالبحر.

أوقفت سيارة الأجرة..تستأجر مقعدا للبهجة قبل أن تعلنَ الفرحةُ إضرابها عن الواقع لحين الإفراج عن أسرى الأحزان وعلاج جرحى الإحساس.

استبشرت خيرا باللقاء هذه المرة، وتمنت ألا يخيب حدسها، خاصة وأن عباءة صبرها احترقت ولا تملك ثمنا لشراء أخرى.

استفاقت من شرودها على صوت السائق قائلا:

- سيدتي وصلنا.. تفضلي.

- لكن..هذا ليس العنوان المطلوب.

- أعلم، مهمتي معك تنتهي هنا..استخدمي بوصلة قلبك وستصلين حتما حيث ترغبين.. فقط لا تخذليه.

- من تكون يا هذا ؟! ~ تساءلت وطن مستغربة

- أنا خادم السعادة. ~ ردّ السائق

- طيب.. كم هي أجرتك يا خادم السعادة؟

- السعادة حق مكفول للجميع..ونحن كمندوبين لا نتقاضى أجرا من زبنائنا.

على بعد خطوتين ونصف من المكان، وقفت تتخيل لقاء الأحبة بعد قرار حكم عليهم بالانفصال، كانت هي من وقعت عليه بلحظة طيش.

استجمعت شجاعتها وطرقت الباب مرة واثنتين ثم ثلاثا..

وسكين الانتظار يدنو منها، يودّ أن يسلبها الأمل.

خابت توقعاتها ولامت خيالها والمنى..ثم تراجعت للوراء تستعد للرحيل..بيد أن صوتا محببا إليها أعادها للحياة.

- اشتقتك جدا حبيبتي.

كعادتها

كعادتها حين يتعلق الأمر بالمشاعر، تشلّ حروف لسانها عن التعبير وتنهاها عن تجاوز حدود القلب.

- كيف حالك؟ ~ ردت وطن

- كحال أم بائسة اختطف الموت صغيرها قبل أن تودعه لتفاجئها الحياة بعودته.

استمر اللقاء أياما معدودات ودقت ساعة الوداع تجلدهما بقسوة.

فتحت الأم أحضانها مودعة بلا رغبة والدّموع تتسابق على وجنتها، بينما ظلت " وطن " واقفة بشرود كأنها غائبة عن الحاضر.

" خذي وقعي.. هذا تصريح مؤقت من القدر بالزيارة لمدة لا تتجاوز عشرة أيام بضمان العودة الجبرية "

تذكرت كلام الحارس وهو ينهاها محذرا أن تتمرد وتخالف بنود العقد.

لبست قناع البرود وقتلت كل ملامح الأسى ثم قالت تنهى أمها عن الاقتراب أكثر:

- قفي عندك.. لا تقتربي أكثر، إني أخشى إن آويت لحضنك أن أدمن رائحتك وتتخدر مقاومتي وأسقط.

انتهى عمر الزيارة وعادت للأسر راغمة.. بينما يفتح الحارس لها الزنزانة.. تستقبلها الوحدة وترميها لوحوش الشوق تنهش قلبها بلا رحمة.

عادت للواقع على صوت المذيعة تقول:

- متابعي برنامج (أدب وحكايا) نواصل الجزء الأخير من لقائنا مع ضيفتنا لهذه الحلقة..

أهلا وسهلا بك معنا مجددا سيدة " وطن " .

- سعيدة جدا بتواجدي معكم..شكرا على الاستضافة.

- نحن أسعد.. طيب، بما أن اليوم يصادف عيد الأم، بعيدا عن كونها بطلة قصتك..

بهذه المناسبة، هل من كلمة ترغبين بإيصالها لها من خلال هذا البرنامج وفي هذا اليوم بالذات؟

- لها أقول " فقط، ليتك هنا " .

- سيدة " وطن " وصلنا إلى نهاية الحلقة.. نشكرك على تلبية الدعوة، استمتعنا جدا بالحديث معك.

كلمة أخيرة لمتابعيك نختم بها سهرتنا، حبّذا لو تكون خاطرة من خواطرك.

سلوا وسادتي..

عن قلب من فيض حنينه انتحر،

فانكسرت جرة الإحساس..

تحدثكم عن كفن ندم أسود،

أفسد دخان الأسى سلام بياضه..

فانقطع وريد اللقاء..وافترقنا.

❊❊❊❊❊

(لوحة شطرنج)

زهير بوعزاوى

هُدوءٌ رَهيبٌ و سَاعةٌ صَغيرةٌ مُعطّلةُ العقاربِ إلا الصغير من يعملُ وحيداً، يصدرُ صوتاً يشبه خفقان القلب، يمرُ بين الثواني والدقائق والساعات خلسةً، دون أن تتغيرَ الأرقامُ، يتركُ خلفه لحنَ وقعِ أقدامِه الفاضحةِ له، يدندن "تيك" وتردُدُ أرجاءُ الغرفة الفارغة "تاك" طول اليوم هكذا: "تيك و تاك" هي موسيقى المكان، أخذت مكان الموسيقى الغائبة، ومصباح خافت الإضاءة مدلى كالعرجون، تحومُ حولَه حشراتٌ صغيرةٌ؛ بحثاً عن الدفءِ المفقودِ خارجاً، تنهيداتٌ هنا وهناك تطرحُ الصدور بين الشهيق والزفير كلَ الهواء المسجون داخل الرئتين، انقطعَ التيارُ الكهربائي فجأة وعاد بسرعة، فوقَ صناديقَ خشبية لُفتْ داخل ملاحفَ مهترئة، جلس رجلانِ متقابلينَ، تفصلُ بينهما مائدةٌ صغيرةٌ، توجدُ عليها لوحةُ الشطرنج، و في جانبها قلمٌ ونصفُ صحيفةٍ، تحوي لعبةَ السودوكو، كلُ الأعين مصوبةٌ نحو لوحة الشطرنج، أخذَ الكلُ وضعيةَ القتالِ فوقَها، مرتَبين مصطفين، الجنديُ والحصانُ والفيلُ والقلعةُ والوزيرُ مجتمعونَ؛ يحمونَ الملكَ بحياتِهم، شاحذينَ سيوفَهم، و الدّروع أمامهم، ونصال الرماح يشهرونها أمامَ العدو الموجودِ في النصفِ الآخر من رقعة الشطرنج، يستعدُ الكلُ متأهبين، ينتظرونَ الأوامرَ ممن يسيرونَهم ومن قيادتهم العليا.

دقتْ طبولُ الحرب، وبدأ الاستعدادُ لها، تحدّقُ الجيوشُ ببعضها، كأنها تنتظرُ صوتَ الشوفار يُنفخُ فيه، يُعلنُ بدايةَ تساقطِ الجثثِ، لكن قُطعتِ المعركةُ الضاريةُ قبل شروعها، و تسمرتِ القطعُ في مكانها بلا روح، حينَ نطق رجلٌ من الاثنين كان قصير القامة، تتدلى رقبته مطأطئ الرأس، محدودب الظهر، يشبه ساحرات الحكايات القديمة، نطق بصوته الأخن،

يوجهُ كلامه إلى رفيقه:

أتَعلمُ يا سعدان أنَّ رقعةَ الشطرنج هاته -رغم بساطتِها- تلخصُ لنا المعاناة هنا بين جدران الظلم هاته؟

ردّ عليه كهلٌ كثُّ الشعرِ، يعتليه الشيبُ، وسيمُ القسماتِ، عيناه صغيرتان براقتان، يحملُ مبرداً صغيراً يدرم أظفاره به، يتوسطُ غيلون بني اللونِ شفتيه وهو يقترب من آخر سنوات عيشه متسائلاً:

حقا! كيف ذلك يا صلاح؟

انتظرْ سأعودُ فوراً، ونكملُ حديثَنا ولعبتَنا كذلك، نعيدُ ذكريات الأيامِ الخوالي،

امتزجتْ ابتسامتهما التي تحملُ خلالها قصةَ وفاء نوصحبةً مديدةَ العمرِ، قامَ صلاح من مكانه، يحجلُ في مشيته؛ بسبب إصابة تعرضَ لها أيام الحرب، برصاصة جندي حين حاول الفرار من غياهب الطغيان، كادت أن تودي بحياته لولا الحظ الذي حالفه مراتٍ عديدةٍ، وقفَ أمامَ خزانة صغيرة، انتشلَ منها قنينةَ خمر بديعة الصنع، نفثَ الغبارَ عنها بمنديل كانَ بحوزته، وعادَ صوبَ مكانه يحملها بين يديه بلطفٍ ورويةٍ، كأنها طفلٌ صغيرٌ يخافُ سقوطه من بين يديه اللتين توغلُان في الارتعاش، يخاطبُ سعدان في آن واحد:

هذه زجاجةُ ويسكي "جلين فيدش جانيت شيد روبرتس" الحسناء النادرة في العالم، صَنعتُ منها خمس عشرة عينة فقط باهضة الثمن، عثرتُ عليها قديماً في قبوٍ مهجورٍ، لما داهمت منزلاً بغرض سرقته حين اشتد عليّ الفقر والعوز و

لكنني فشلت في مسعاي، وعدت أجرُ أذيال الخيبة، يقالُ إنها كانت المفضلةَ لدى زعماء الدول لكنها الآن بيننا نحن المنبوذين كالراقصة الغجرية الفاتنة، يثملنا خصرُها المتمايلُ، سُكب إكسيرها في أقداح تراثية، تُظهر النقوشُ المهمةُ الموشومةُ عليها انتماءها لحضارة عريقة، رفعا الأقداحَ عالياً، تليا ترتيلهم، أقاما الصلاة في سرهم، رسما إشارة دياناتهم على

صدورهم، اقترحا نخب الصداقة، وشربا حد الارتواء، وبعد هنيهة من الهدوء باغت سعدان صديقه بقوله:

لم أستوعبْ حدَ الساعة معنى أنَّ رقعةَ الشطرنج تلخصُ لنا الحياةَ؛ فقد توقفتَ وما أكملتَ التفسيرَ.

ردَ صلاح دون مقدمات، عكس ما يفعلُ دائماً:

دعنا نلعبُ ونتحدث ستفهم جيداً ما أقولُ.

حسناً يا صلاح.

هيا سعدان خذ المبادرة وابدأ.

وطفقا يلعبان، بيادق تتمايل إلى اليمين تارة وأخرى صوبَ اليسار، حباتُ العرق تتصببُ، تنهيداتٌ عميقةٌ، أشعلُ صلاح سيجار كوبي فخم، عبّ منه نفسين متتاليين، ثم قلم رأسه ووضعه على الطاولة المحاذية لهما، وطفقَ يحكي:

انظر الآن يا سعدان كيف يضحي البيادقُ الصغارُ بحياتهم، و يقدمونها قرباناً؛ في سبيل أن يبقى الملكُ حياً يرزقُ، هكذا كنا نفعلُ سابقاً نحن الآدميون أيضاً، دفعنا ثمنَ أخطاءِ القادة الكبار باهضاً و كلفنا ذلك أرواحا بريئةً لا ذنبَ لها، بينما كانوا هم ينعمونَ بما لذَّ وطابَ من الخيرات، يأكلونَ الأفضلَ، ويرمون لنا بالفتاتِ، يرتدون ملابسَ قطنيةً، صنعتها أمهرُ الأنامل؛ تقيهم برد الشتاء، فهم دافئون في بيوتهم، ونحنُ حفاةٌ عراةٌ، يصفعنا الزمهريرُ في أرض الفقر، الكثيرُ والكثيرُ، الكلُ يلهثُ خلفَ المالِ طوال اليوم، يعملونَ، يكدونَ، يعانونَ ويقاسونَ الويلاتَ، تبيع النساء أجسادهن و يمتهن الرجال السرقة، تُهانُ كرامتُهم، وتمسُ إنسانيتُهم، صابرون أمام الذل والهوان، السبُ والقذفُ حتى الضرب يلاقونه من الجلادين، مقابل ماذا؟ حفنةُ مال، وكأسُ نبيذ، ونساءُ الأرصفة و بائعاتُ الهوى، هكذا يحدثُ هنا فوقَ ركح الشطرنج يسعى الصغارُ فقط لأشياء بسيطة، حتى لو كلهفم ذلك حريتَهم أو حياتَهم،

ويظفرُ الكبارُ ببقية الحياة، سأحاول تغيير هذا الظلم وأبعد الشرور عن العالم، ويسود العدل والمساواة بيننا، فنحن بشر جميعاً وعلينا أن نعيش في جو متوازٍ، أعدك أنني سأغير القواعد والنظام مهما طال الزمان، نصيحة لك اغتنمِ الفرصةَ دائماً وكنْ قوياً صلاح، تذكر هذا، لم تكنِ الحياةُ منصفةً أبداً للغض والهين، عليك أن تكونَ قوياً، تذكّرْ جيداً ما قلتُ وكن قوياً.

لقد أصبحت فيلسوفاً يا صلاح، أظنُ أنّك تلقيتَ صفعاتٍ ولكماتٍ؛ جعلتك تستيقظ من فراغك وملأتك التجاربُ و... قاطعه صلاح قبل أن يكملَ كلامَه، ثم رفع بيدق الحصان الجامح، فتقدمَ به نحو بيدق منافسه، طرحَه أرضاً بحركةٍ مفاجأةٍ وبخفةٍ ودقةٍ عاليتين، جعلت سعدان فاغرَ الفاه، مرتعد الفرائص، تعتريه علامةُ الذهول، لم يصدقْ ما تراه عيناه، يقولُ متعجباً:

كيف ذلك يا صلاح كيف؟

لقد أخبرتُك سابقاً، اغتنم الفرصة وكن قوياً؛ حتى لا تخسر اللعبة، كما خسرناها سابقاً، دورُك الآن يا صديقُ.

أخذَ سعدان يتمعنُ في اللوحة، ما الخطوةُ القادمةُ؟ بنظراتٍ سهمية كرة، وشاخصة كرتين،يترقبُ الوضعَ، يفكرُ ملياً، و يتأملُ طويلاً، خائفاً ومتردداً، يُريدُ رفعَ رايةَ الاستسلام؛ لقد جَبُنَ أمامَ صلاح النابغة، اقتطع من الوقت جزءاً مهماً، يتحينُ فرصةً؛ فنسبةُ فوزهِ ضئيلةٌ، رغم ذلك بقي متشبثاً بحبل الأمل القصيرِ، تحزُ كثرةُ القلق عقله، الهدوء يتمدد شيئاً فشيئاً على محيط الميدان، الشطرنج والبيادق مجرد قطعٍ خشيبةٍ، تحركُها أصابعُ سعدان وصلاح، لكن فوقه دبتِ الحياة فيهم-البيادق- أضحت تتحرك، واندلعت بينها حربٌ شعواءُ ضروسٌ، حمي الوطيسُ واحتدمَ الصراعُ، تتساقط الجثثُ تباعاً، تُخترق الصفوفُ الأمامية و الأعمدة، بين خنادق المربعات الملونة بالأبيض والأسود سيولٌ جارفةٌ من الدماء،

تتعالى أصواتُ حوافر الأحصنة ولا يعلى عليها، توغلت جيوشُ صلاح تكتسح الأخضرَ واليابسَ، و يكتفي سعدان بمشاهدة انهيار جحافلِه، أمام جموح وفطنة وحنكة صلاح وتخطيطه النابع من الاحترافية، هنيهة سعلَ سعالاً خفياً، وعادت اللوحة إلى ما كانت عليه مجرد قطع لا روحَ فيها.

كانَ صلاح قد اقتربَ من إعلان نصره، حطت ذبابةٌ تائهةٌ فوقَ أنفه تدغدغه بأقدامها النحيفة، شعر بحكة نتجت عنها عطسةٌ قويةٌ؛ سببت له خسارةً فادحةً، وذهبَ التعبُ والتخمينُ الطويلُ سدى، حين سقطتْ قطعةُ الملكِ الخاصةُ بهِ وسقطت معها الرغبة في التغيير.

****

يَا صَاحِبِي

أيْنَ نَسْري؟

والغَدرُ فِي الدمِ يَجْري

لاَ آمَنُ الليْلَ أخْشَاهُ

قَدْ يَغْتَالُنَا

مَنْ يَدْري؟

وذاكَ البَدرُ

فِي سَنَاهُ أرى كَيْداً

بِالغَوصِ يُغْري

وَأَنْيَابٌ عَلَى عَضِّنَا عَزَمَتْ

لِنَامٌ ومَا كُنْتُ أدري

أضَعْنَا خِصَالاً
عَلَيْهَا النُّفُوسُ قَدْ فُطِرتْ
ولَهَثْنَا خَلْفَ مَا يَبْري
فَالذِي أسْقَيْنَاهُ صِدْقاً
كِذْباً عَلَيْنَا
فِي الجَهْرِ يَفْري.
يَا صَاحِبِي
أَيْنَ نَسْري؟!
والخَنَاجِرُ خَلْفَ ظَهْري.
دَعْنَا
أَيْنَمَا نَمُتْ
لَكَ شِبْرٌ ولِي
مِثْلُكَ شِبْري
وإذا ضَاقَتْ بِالرقَابِ قِفَارنَا
ربَمَا أُودعُوكَ قَبْري.
أيَا شِبْلِي
لاَتَجْزعْ
إنْ جَف فِي الأَرْضِ دَمِي
كُنْ أَنْتَ بَحْرِي
وَ خَبِّرِ الصَّخْرَ والرمَالَ
أَنَّ تَمُوزاً

كَانَ سَفِيراً لِلسَّلامْ
لَمْ يَتَأبطْ نَاباً
لا، ولاَ خنْجَراً
سِرْ يَا شِبْلِي
انْتَعِلْ شَوْكاً
بَلِّغْ
واعْفُ إِنَّ الغُفْرانَ ثَأْري
وَ السَّلاَمْ.

لا ألوم وطني
بل أعاتبك وبشدة
يا أمي وأنت كذلك أبي
لمِ على أرضه التعيسة؟
أنجبتماني..
سمعت ذات يومٍ
لكما في الغرفة حواراً
كنت أنذاك غضاً
حديث التكوين، تحملق عيناي
في السقف حيناً وفي الآخر
إلى الجدران الباردة

تقمطني بعض الخيوط
من عالم البلاد الأحمر
مزقته الشمس الحارقة
وفصّلتم به قماطاً لي
كنت لا أطقيه منذ الصغر
قلتَ لها والأمل تنطق به شفاهك:
سيكبر هذا الولد، وتكون له قيمةويحقق لنا أمنية...
وأنا كنت أضع جوف فمي الهش
إبهامي الصغير، بدل الرضاعة
أما ثدي والدتي فقد جفّ حليبه
أرضعتني امرأة أيضاً
تدعى السعدية ولها ابنة شيماء الاسم
إلا أنني لست رسولاً ولا نبيا
ولا هي كانت عطوفة علي ولا حليمة
ماتزال صفعتها حين كنت أبكي
تلاطم خدودي المتوردة
رغبة منها أن أصمت بالضرب
ويزداد نواحي ضعفين عن المرة
الأولى...
تكاد رئتي تخرج من صدري
أصرخ طويلاً، وطويلاً، طويلاً

أين الكلمات و أين الحروف؟
ومن سيصغي، والجلاد قد
اختلى بي وانفرد
وفعل ما شاء بهذا الجسد
لقد نسيت شيئاً
كبرت يا أبي كما أردت
ولم أغير شيئاً في
هذه الحياة القاسية
كأنها لوحة شطرنج
لا يبقى فوقها إلا القوي
وأنا ضعيف لذلك خسرت
الرهان
أتعلم ما أتمناه الآن؟
حبل يهوي من غصن السلام
يلتوى حول رقبتي وينعقد
وأتدلى منه عساني أودع
أخر الأنفاس وتشيع الملائكة
جنازتي وحيداً وتحمل
نعشي صوب الخلاص
دعنا من هذا يا أماه
قد كانت زلة عابرة

لكن لدي سؤالٍ لك
لِم تركتِني بين أحضان
السعدية؟
وأنت يا أبتي أتعلم أن
ما فعلته المرضعة بي
يكمله الآن هذا الوطن؟

زهير بوعزاوي/ المغرب

*****

وتبـــقى الطفـــولة

ربى عادل هابيل

لم أتجاوز وقتها الخامسة من العمر، عندما بدأتْ تحصل أحداثٌ لم أفهمها أو أعيها. ما أدركت أنها سوف تسرق طفولتي من بين الحارات والأزقة و المدرسة التي كنت أحلم كيف سألتحق بها العام القادم، وأحلم كيف سأرافق والدتي إلى السوق لتبتاع لي لوازم المدرسة: قرطاسية ومريول أزرق أباهي به أقراني... أضحت الشوارع تمتلئ بالناس. يمشون كأنهم أمواج متلاطمة وهم يهتفون ويصيحون بعباراتٍ لم أدرك معناها؛ فكلّ همّي كان ألّا ينقطع التيار الكهربائي كي أشاهد برامج الأطفال المفضلة لدي.

تطوّرت الأمور بتسارع مخيف فوالدي اللطيف الحليق، صاحب أشهر محل للحلاقة في المدينة تغيّر جذرياً، فقد أطلق لحيته وبات دائم التوتر و الغضب؛ خصوصا عندما كان يجلس أمام شاشة التلفاز و يتابع نشرات الأخبار. يثور مما يشاهده و يسمعه، و يصبح كالذي فقد عقله: يصرخ... يتوعّد...يهدد...ويكيل الشتائم. أبي اللطيف تحوّل تدريجيّا إلى مخلوق غريب لا أعرفه و أخاف منه. أتحاشاه كلما دخل منزلنا الذي يتغيّب عنه كثيراً بعد أن أغلق محل الحلاقة. و مما زاد الضيق في نفسي هي أمّي التي ما كانت تنفك تلطم وجنتها وتنهار من قلقها عليه كلما تأخر في العودة إلى المنزل.

مع كل هذه الأحداث كبرت دون أن يشعر بي أحد. و كأني غير موجودة. كان اهتمامي منصبّا في كيفية الخلاص من اليوم الذي نعايشه. وبدلا من أن يبتاع لي والدي لوازم المدرسة التي أغلقت أبوابها نهائياً، ابتاع مدفعاً رشاشاً و نصبه على سطح المنزل.

بدأت السعادة الطفولية التي كنت أعيشها تذوي و تتلاشى من روحي رويدا رويداً، و يحلّ محلها الخوف و الجوع و المرض؛ لكن لم أخسر من هذه الطفولة و البراءة و الأحلام بمستقبل لابدّ أنه أجمل... كنت أتخيل نهاية ما يحصل سعيدة كالتي كنت أشاهدها و أصدقها في برامج الأطفال التلفازية المتحركة. التي تابعتها و عشت أحداثها وكأني بطلة من أبطالها، لكن الواقع كان غير الحكايات الطفولية؛ فالحرب الآن هي التي تتكلم و تحكي، وأصواتها هي الطاغية: فطلقات المدفع الرشاش كانت تزُجّ المنزل وكأن زلزالاً يضرب المكان. بلغت الحرب الذروة ولم تعد المدينة صالحة للعيش وبدت لي موطن أشباح. أصابها العفن وانتشر فيها الذباب و الطيور القَمّامة التي تنهش بجنباتها دون توقف مما اضطرنا أن نغادرها إلى دولة جارة. فمدينتا حدودية تقريباً و لنا في هذه الدولة امتداد أسري و مجتمعيّ.

كان والدي متحمّساً لمغادرتنا ومرتاحاً، لأن هذ الدولة داعمة للحراك، و حليفة مع باقي الدول الداعمة له، و لابدّ سننزل ضيوفا أعزّاء فيها حيث ستكون حياتنا كريمة ومؤقتة ريثما تتحقق الأهداف الوطنية، ويعمّ الأمانُ بلدي الأم!

حملنا ما استطعنا من متاع...أوصلنا والدي إلى أبعد نقطة ممكنة...و ودّعنا بقبلات حميمية لن أنساها ما حييت وعيناه تصارعان الدموع كي لا تسيل على وجهه المليء بالشعر الأشعث المعفر... نظر إليَّ و إلى إخوتي الصغار نظرة أخيرة كلّها أمل بلقاء قريب... افترقنا عنه و كلّ منا يحمل حلماً يساعده على الاستمرار بالمشي في طريق مُقفر موحش يخلو من كل شيء إلا من قوافل الهاربين و من أصوات الوحوش الليليةً: وحوشٌ تعوي و كأنها تريدنا وجبة لجرائها المتضورة جوعاً. كنّا نفترش الصحراء بحماية الله و شعلةِ نار اتقاءً من الوحوش البرية. و قد تكون دليلا علينا للوحوش البشرية و قاطعي الطرق... استمر المشي الوئيد المرهق هذا حوالي خمسة أيام، مرض فيها أخي ذو الثلاثة أشهر و مات. كان همّ دفنه أكبر من همّ موته؛ لكن بعض الرجال رقّوا لحال والدتي التي كادت تفقد صوابها و جهزوا له حفرة

سطحية. دفنوه أمامنا ونحن ننظر! وإني لأجزم أن جسده الصغير صار طعاما لجراء الذئاب.

وصلنا الحدود متجاوزين كلّ ما مررنا به من مخاطر لنرى أنفسنا أمام الخطر الأكبر و هو تجاوز الحدود دون أن يرانا أحد من حراسه، وإلا فسيكون ثمن حياة كل منّا طلقة. عبرنا الأسلاك الشائكة أخيراً لتمتد أمامنا أرضٌ قفر جديدة لا نعرف لها نهاية. لكن لا مجال للرجوع و لابد من الاستمرار في السير نحو المجهول. تقرّحت أقدامنا و تشققت شفاهنا من العطش؛ ولا أعرف أنا الطفلة لماذا كلّ هذا العذاب و ما ذنبي به؟ و هل نتيجة هذا التعب مسرة و مستقبل مشرق ينتظرني؟ مضى على كل هذه الأحداث حوالي السنتان، وقد بلغت من العمر ثماني سنوات.

وصلنا أخيرا إلى نقطة يتجمّع فيها اللاجئون، ولكنّا حتى الساعة لم نرَ غرسا ولا شجراً! لازلنا في الصحراء! استقبلتنا المنظمات الدولية التي تدعي الإنسانية. استقبلتنا بحجزنا و فحصنا لشكوكهم بأننا نحمل في أجسادنا وباءً خطيراً قد ينتقل إلى أهل هذا البلد. قدّموا لنا بعض المواد الغذائية، وأعطوا كلّ أسرة خيمة. كنا لا نعلم أن هذا المكان سوف يكون مستقرنا. لم نهتم لقذارته إذ كنا نأمل برحيلنا إلى مكان فيه مقومات إنسانية؛ لكن هذا لم يحصل! فقد مرت الأيام و الفصول و نحن نتسكع فيه. نفق الكثيرون من الغبار صيفاً، و من البرد شتاءً؛ ناهيك عن الموت من الأمراض المستشرية. لم يكن يسمح لنا بمغادرة المخيم! سوّروه بأسلاك شائكة فصرنا بسجن كبير تحول شيئا فشيئا إلى شبه قرية فيها بعض الدكاكين الصغيرة التي تبيع الفلافل و الحلويات الرخيصة! إننا منسيون هنا عكس توقعات والدي الذي كان يظن أننا سنكرّم ببلد الكرام! لكن ما كان عيشنا إلا لئيماً عند لئام بسبب اللئام. إننا منسيون من قبل كل مَنِ ادعى الإنسانية، ومنسيون مِن كلّ مَن كان سبباً في الحرب الظالمة التي تأكل وطني وأهلي! لقد تخلى عنّا الجميع و صرنا و كأننا نعيش في كوكب يبابٍ بعيد عن الأرض كلّ البعد.

بعد سنة ونصف من إقامتنا هنا في هذا البلد الجائر، وانقطاع أخبار والدي عنا تماماً، كان لا بدّ من البحث عن سبب للخلاص من هذا الجحيم الذي نحن فيه مهما كان نوع هذا الخلاص ومهما كان سيئاً؛ لأننا نظن أن لا واقع أسوأ مما نحن فيه. فتاة مثلي أصبحت بعمر التاسعة و النصف لا تزال تحلم بالصور المتحركة و اللعب في الخارج، و لازال المريول الأزرق يتمايل في مخيلتها، و رغبة تعلم القراءة و الكتابة تنازعها بكل وقت؛ لكن كل هذه الأحلام كانت طي الكبت. كبتها الحرمان و قضى عليها التشرد، و صرت كبش الفداء الذي سينقذ أمي و إخوتي الصغار من الفقر و الجوع. جارتنا بدأت تتردد علينا كثيرا و تحمل لنا الكثير من الهدايا و الأشياء التي ما رأيت مثلها من قبل. مع ذلك لم أكن أرتاح لها؛ لذلك كنت أخرج للعلب هاربة منها كلما جاءت لزيارتنا. كانت أمي تغضب مني لأنني كنت أتجاهلها. لقد تبدلت والدتي جداً من امرأة منفتحة ترغب بتعليم ابنتها حتى تخرجها في الجامعة إلى امرأة تجبرني على وضع الزينة على وجهي الذي رغم شقائه لا زال يحتفظ بالكثير من البراءة و بالكثير من ملامح الطفولة. بعد شهور قليلة من كرم جارتنا علينا - والذي كنت أشعر أنّه زائف - صار جسمي مكتنزاً بعض الشيء، إلى أن حانت ساعة البوح من والدتي بأنه عليّ الزواج من رجل تقدّم خاطباً وهو رجل ميسور الحال سيؤمن لي و لأمي وأخوتي حياة كريمة ومريحة. لم أكن أعرف ما معنى الزواج و ما معنى أن أكون امرأة... جاءتني حالة نفسية تشبه الصدمة عندما عرفت تفاصيل الحياة الزوجية التي كنت أجهلها ولم أكن أتوقع وجودها أصلا مما جعلني أرفض الفكرة بشدّة...لكن لا مجال للرفض فأمّي قد باعتني و انتهى الأمر.

حان موعد مراسم الزفاف...لبست الثوب الأبيض بدلاً من مريول المدرسة الأزرق لأستأنف رحلة القهر و العذاب و الظلم بوجه مختلف و شكل آخر مع غريب يكبرني بسنوات كثيرة. عندما كان يقف أمامي كنت أشعر أنه عملاق ضخم يشبه المسيخ الدجال أو الغول ذا العين الواحدة الذي يلتهم البشر في الحكايات. كان يلتهمني دون رحمة أو شفقة

عندما ينقضُ على جسمي الغض الصغير. عشت مع هذا العملاق ثلاث سنين مظلمة كالحة...كانت الحياة في العراء جنّة أمامها لأني استطعت الصبر على الفقر و التشرد و الغربة، لكني لم أستطع الصبر على إهاناته اليومية لي و لأهلي و لوطني الذي هاجرت منه. لم أستطع تحمّل آلام الإجهاض الذي كدت أصل للموت بسببها، فقد كان يجبرني على الإجهاض مراراً لأنّه كان يعتقد أنني لست جديرة لأكون أمّا لأولاد منه؛ فأولاده من زوجته الأولى يغنوه عن مولود مني.

كان الكره لكلّ شيء في جوفي يكبر ويكبر حتى تحولت من الداخل إلى وحش يتمنى لو يُعطَى القوة كي يفتك بالجميع دون استثناء، و صرت أرى بذي العين الواحدة الشرّ الذي أوصلني إلى ما أنا فيه. ضمرت في نفسي أن أنتقم...أن أقضي عليه؛ فمن كان مثله لا يستحق العيش و لا الحياة.

دسست لهذا اللعين السمّ في وجبة له مفضلة. أكل منها بشراهة حدّ التخمة. ما إن بلع لقمته الأخيرة حتى بدأ يصرخ أمامي و يتلوّى من الألم. رأيته أمامي كيف ينازع الموت! لم يكن بالنسبة لي وحده الذي ينازع الموت، بل الذل و المخيم و الجوع و التشرد و الحرب كلها كانت تنازع الموت في هذه اللحظة. لفظ أنفاسه الأخيرة الحقيرة بعد ألم بالغ. اقتربت منه لأتأكد من موته! إنه ميت فعلا! ركلته... ثمّ ركلته و ركلته وأنا أضحك و أبكي! لقد ظننت أني انتصرت و انتصر أهلي و وطني بموته. انتشر خبر موته و افتضح أمري...ساقوني إلى سجن الأحداث لأعيش صفحة قهر واضطهاد من نوع مختلف.

❊❊❊❊❊

وأد

أسماء محمد خضر

مر شريط حياتها أمام عينيها كتلفاز يعرض مشاهده واحد تلو الآخر، تذكرت كيف كانت البداية صعبة فلن تكون النهاية سعيدة، فقد مات والدها وهي في عامها الثامن.

مات فجأة ودون سابق إنذار حتى إنه لم يمرض ليمهد نبأ سفره بلا عودة، بل فاجأني، صعقني برحيله المباغت، لم يكد يكمل فطوره أو حتى جملته التي بدأها معي لم يكملها، شبع من الطعام والحياة سويا معلنا غيابه الأبدي، لذلك أكره المفاجآت أبغض كل قرار يأتي دون تمهيد.

تركني وأخي مع أمي التي تحولت فور وفاة أبي من المرأة الرقيقة إلى رجل صعيدي من الطراز القديم، أغلقت صنبور الحياة عني، فكانت تعاملني كولد مثل أخي بل إن أخي كان أكثر حرية مني، كل نصائحها، خوفها واهتماها ما هو إلا تهديد ووعيد، كانت تربيتي عسكرية من الطراز الأول حتى إن العسكريين يأخذون هدنة أما أنا فقد وقعت في الأسر، بات الخروج للشارع جريمة عدا المدرسة، التأخير أمر جلل كما لو أن دنيا غابة موحشة، أقيم حظر تجوال عن ذكر أي من زملاء المدرسة كما لو أنهم مجرمين يجب أن نحذرهم، حتى بت أكره الرجال وأهابهم، بت لآمن جانبهم، أتذكر في كل مرة استقل الحافلة للجامعة ويجلس شاب بجانبي وكأن صاعقاً أصابني أو جناً مسني كما لو أنه يريد مني شيئا سيئا، وبعد أن دخلت الجامعة كنت أخشى الحديث مع زملائي وكأنهم وحوش ضارية ينتهون أي فرصة للنيل مني، كنت أخاف الابتسامة أمامهم ظنا أنهم سيطعمون بي.

تقدم لخطبتي الكثير، كنت أرفض بحجة الدراسة كما أنني لم أعتد وجودهم في حياتي، كيف وقد أقنعتني بغريزتهم الوحشة، انتهت دراستي وحاولت البحث عن عمل أريد الخروج من تلك البوتقة، أريد أتنسم هواء لأعرف مذاق الأكسجين ولكنها رفضت لأن الفتاة ليس لها إلا بيت زوجها، مرت الأعوام وأنا لأعرف للحرية سبيل تم خطبتها خلالها مرتين تركهم كلا مني بحجة أنني لا أحبهم وكيف أعرفه وقد مات إعداما بالسهم، لطالما أردته حنونا يتحمل عقدي يصبر معي حتى تشفي أوجاعي، ولكن كلا منهم اتهمني بالتعقيد وتركني مغادرا.

لم تمضي شهورا حتى تقدم شاب ذو مركز اجتماعي ولكنه لا يملك أي مركز روحي، يبدو كما لو أنه شخص وصولي، حاولت الرفض ولكنها أسمعتني ما لا أطيق

لم يعد هناك وقت كي تتحدثي برأي أم أنكِ لا تدرين كما عمرك الآن، سيتزوج أخيكِ قريباً وستأتي زوجته وتتحكم بك.

بكيتُ بشدة كان يجب أن تكون هي الأقرب، أن تشفي هي ألآمي لا أن تغرس مالها في جرحي.

ظلت تطاردني بحديثها الممزق كل دقيقة في كل يوم حتى استسلمت وأعلنتُ راية الموافقة، كان يتحمل كل تقلباتي رغم كونه لم يشعرني يوما بحب أو حنان ولكنه كان يتحملني، وقبل عقد القران وقبل بأيام حتى ظهرت نواياه، كان يسأل بإلحاح عن ميراثي من أبي وعن أموالي في البنوك، وعندما أدركت أمي ذلك، لم تمهله فرصة ليبرر سؤاله، أعلنت فسخ الخطوبة على الفور ولولا ذلك ما أخذتْ مثل هذا القرار.

وقبل أن يمضي الشهر حتى أتت إحدى قريباتها ب" عريس" عرض مغري لا يمكن رفضه، شاب في أواخر الثلاثينات يعمل مهندساً في إحدى دول الخليج راتبه عالٍ، لم يأتي إلى للبلاد منذ خمسة أعوام، وأخذ إجازة لمدة أربعة شهور للبحث عن عروس ويريد أن يتزوج خلال شهرين حتى يتسنى له أن يجلس مع العروس بقية الإجازة قبل أن يعود لعمله، فأخبرته عن أمري.

رفضت بشدة فلست سلعة تباع أو وسيلة ليحصل على لقب زوج، ولكن والدتي أصرت على حضوره، كان صدري يرتجف بشدة وقلبي يأن من الوجع، لا أعرف السبب، ولكن قلبي يصدقني دائماً.

جلست معه فوجدته فارغاً لا يتكلم إلا عن المال وكيف تكون تربية الأولاد، علاقته بربه ممزقة لا يعرف عنها سوي الصلاة، هذا إن كان يصلي مثلما يقول.

لم أجده يشبهني، لم أجد فيه العوض الذي أنتظره، رفضته بشدة ولكنه أصر على الارتباط بي بحجة أنني على خلق فهو يريد زوجة صالحة أو بالأدق مربية صالحة ترعي أولاده المستقبليين.

حاولت الرفض فروحي لا تألفه وقلبي لا يأمن جانبه، ولكنهم لم يمهلاني كثيرا حاولوا إقناعي كثيرا حتى فاض بهم الكيل، فكشروا عن أنيابهم، وحددوا موعد الزفاف بعد شهر، وبعدها لم يمضي شهراً آخر حتى أخبرني أنه لابد من العودة للخليج للضرورة القصوى.

أرجوك لا تذهب وتتركني بمفردي

لابد من الذهاب فورا فهذا عملي

فلتأخذني معك إذا

ليس الآن، سأجهز كل شيء ثم أرسل لك دعوة للحضور

مضت شهورا ولم يصدق وعده، فالإقامة هناك باهظة الثمن وبهذه الطريقة لن نستطيع أن نوفر أي شيء

كنت أجلس وحيدة بشقتي فقد اشترط أن أجلس بمفردي ولا أحتك بوالدته منعا لحدوث أي مشاكل حتى انقطعت الكهرباء منذ أربعة أيام بسبب عطل كما قالت والدته، حاولت للخروج من المنزل لأن هاتفي قد فرغت طاقته وكنت ابحث عن وسيلة للاتصال بأمي، فوجدت الباب مقفلاً، ناديت بأعلى صوتي حتى أتاني صوتها من الخارج بعد الدقائق

ماذا هناك؟

الباب مقفل ولا أعرف السبب

ارجعي للخلف قليلاً حتى يصيبك مكروه، سأفتح لكِ الآن

استمعت لها ورجعت عدة خطوات انتظرت أن تدفع الباب، ولكن وجدت مقبض الباب يدور مع كل حركة مفتاح ودخلت بابتسامة غريبة باردة لا تزين وجهها أبدا بل أصابني بالقشعريرة

فحدثتها وكلي أمل أن يخيب ظني

أنت من أغلقتِ الباب؟

أما تريدين البقاء وحدك؟ فقد حققت أمنيتك

ابنك من طلب هذا، وأقسم عليّ ألا أنزل عندك

كاذبة، ابني لا يفعل هذا أبداً

بل فعل

إذا أنت من أقنعته بهذا

لا لم أفعل، صدقيني

بل فعلتِ مثل غيرك، ألا تريدين دفع الثمن

ثمن ماذا؟

ثمن أن تنعمي به وحدك

عن أي شيء تتحدثين؟

عن ابني الذي ربيته، وسهرت له الليالي، وأنت تريدين أن تأخذيه وتنعمي به وحدك مثل غيرك، ولكن لن اسمح لك فلا بد من دفع ثمنٍ لهذا

غيري؟

أما تدرين أنه تزوج قبلك مرتين

ماذا تقولين؟

ألم يخبرك؟ يا له من شرير لئيم

أنت تخدعينني

تجيدين القراءة، أليس كذلك؟ فكما تشاهدين هذه وثيقة وثائق زواجه وطلاقه في المرتين

بكيت بحرقة، لقد باعتني أمي بثمن بخس، جففت دموعي وسألتها

وما هو الذي الثمن الذي تريده؟

خادمة

ماذا؟

نعم، هذا هو الثمن، أن تخدميني مقابل أن أتركك تنعمي به، وإلا.....

وإلا ماذا؟

ستكون وثيقة طلاقك إلى جانب هؤلاء من الغد

أنا لست خادمة، تحدثي إلى ولدك يحضر لك خادمة

الخادمة لم تأخذ مني شيئاً حتى تخدمني، بل أنت من أخذت أغلى ما عندي ولابد من دفع الثمن

افعلي ما تريدين، لست خادمة لأحد

إذا كما تشائين

تركتني وهمت بالخروج وهي تتمتم أربعة أيام كافية لتفرغ طاقة هاتفك فلن تستطيعي الاستجداء، ثم غادرتني سجينة المكان والروح

جلست أبكي، لا أعرف ماذا أفعل، حتى خطر ببالي جهاز اللاب التوب نعم فهو مازال يعمل، أحضرت إحدى الوصلات وقمت بشحن الهاتف من جهاز اللاب توب، واتصلت

بوالدتي على الفور وقصصت عليها كل شيء، كان ردها كصاعق من السماء

أنتِ فتاة مدللة مثل زوجة أخيك، فحاولي إرضائها، وافعلي ما تطلبه منك

أغلقت الهاتف وقد جفت دموعي

أغلقت سيل الذكريات ووقفت أمام مرآتي، نعم فقد أخطأت عندما ظننت أنهم باعوني بثمن بخس، بل أهدوني جارية لأحدهم لا يعرف للرحمة باب.

إذا طالما أرادَني أن أعيش كجارية، فلن أنتظر حتى أموت كجارية.

نطقت كلماتها الأخيرة ثم فتحت نفذتها وأطلقت العنان لروحها لتلحق بأبيها فلابد أنها ستجد في السماء من يحنو عليها .

❊❊❊❊❊

مشهد مغلف بالدموع!

رمضان إبراهيم بشير

نسوةٌ متشحون بملابسٍ حالكة السواد.. أصواتُ تهليلٍ تنبعثْ من بينهن، تعلو ثم تنخفض كحفيف الأشجار، و تارةً أخرى يرددن أناشيد جنائزية . متعارف عليها . بشكلٍ أوبرالى.. رجالٌ يصطفون على جانبى العقار، و يتمتمون بعباراتٍ فشلت أذنى فى سماعها.. فحوى المشهد فى حاجة إلى فنان تراجيدى ليسجل بريشتهُ تفاصيلها!.. الوقتُ يقترب من الغروب.. بعضٌ قليل من الوجوه مبتلة بالدموع! يبدو أنهم من أقارب المتوفى، بينما الغالبية الأعم منها جاف، يبدو عليها عدم التأثر.. بجانب الجدار يرقد نعشٌ فارغ، و كأنه يتأهب لإستقبال جسد جديد.. بَدَا علىَّ الاضطراب للوهلةِ الأولى، ولم أبدِ حراكاً؛ قدماى لا تطاوعانى على السير؛ سَيْطَرَ عليهما الثبات..استيقظَ حزنى بغتةً، و زُلزلتْ مشاعرى! و خامرنى شك مرير، أيكونُ صديقى (المريض) الذى جئتُ لزيارته . الآن . هو بطل هذه المناسبة؟.. رجفةٌ أحلَّتْ بى! لم أستطع التغلب عليها، استقبلَ جسدى بعدها أسىً غزير!.. انتقلتُ من موقع المشاهد، وانضممتُ إلى جموعِ المشاركين؛ للمساهمة الفعالة فى تشييع جثمانه إلى مثواه الأخير.. قرأتُ الفاتحة ترحماً عليه إنه نعمى الصديق، والخل الوفى!.. الدموعُ بدأتْ تلقائياً تتقاطر من عينيَ ثم ما لبثتْ أنْ هطُلتْ بغزارةٍ، و كأنه سد مكتظ بالماء قد إنهمرَ فجأة!.. حاولتُ أن أجففها، ولكن دون جدوى، يبدو انها فى حاجةٍ إلى أكوامٍ هائلة من المناديل، وهو لم يكن صديق . فحسب . بل عشرة عمر.. اقتربَ منى أحد المشاركين . ربما لَفَتُّ انتباههُ . معذياً إيَّاىَ بعد أن ربتَ على كتفى، وبدافع من الفضول سألنى عن صلتى بالفقيدة؛ فأثار

اندهاشى!، وهمَّ بالإبتعاد الفورى. ربما لأمرٍ ما.دون أن أجيبه أو حتى أستفسر منه عن شىء.. لم يمضِ قليل من تساؤلِهِ حتى تسلَّلَ اثنان، وانتشلا النعشَ الفارغ، عن قصدٍ متعمد تابعتهما عيناى، مدخل العقار فسيح لبعض الشىء؛ أعطى الفرصة لبصرى لتتبع مقصدهما ..لقد صعدا به إلى الطابق الأعلى، بينما صديقى الذى أتيتُ لزيارته .الآن .يسكن فى الطابق الأرضى، همستُ على الفور فى إحدى الأذن القريبة من فمى مستفسراً عن شخص المتوفى؛ فأجابنى صاحبها .مندهشاً .بأنها صاحبة العقار!.. رغماً عنى سمحتُ لبعض السعادة بأن تفرش تفاصيلها القليلة رويداً.. رويدا بدواخلى فى محاولةٍ منى لإخفاء تبعاتها، وآثارها الخارجية على وجهى؛ تقديراً، و احتراماً لموقف الحزن الذى فوجئتُ به.. هيأَتُ لنفسى طريقاً للعبور؛ لزيارة صديقى المريض.. صافحتهُ بحرارة! و.. وتمنيتُ له الشفاء العاجل من الوعكةِ الصحية التى ألَمَّتْ به، و رُحْتُ أقصُّ عليه ما حدث.

❊❊❊❊❊

لعنة أبيدوس وبرديه فينوس

نورا محمد عطية أحمد غنيم

مقدمه:

ترك لنا الأجداد ارثا عظيما يجهل مغزاه الكثيرون، الاساطير التى دونت فى البرديات خلدت أعمق الحكم فقط لمن يفهمها ويعيها ويحفظها عن ظهر قلب ويشير بمدولها الى غيره،حقا ان الاسطوره حياة أبدية تملك سحرا محصنا من الخيال مجردا من المحال، فلازلنا نبحث فى التاريخ أملا في أن يأتينا بايزيس وأوزوريس العصر الحديث لنعبر ممرات السحر والخيال من خلال كلمات تنسجها أنامل الآمال، فلنتطيب بزخرف المعرفه سنصيب الهدف بحكمة مرهفه.

الأحداث:

(لعنة أبيدوس)

أبيدوس عالم السحرالآخاذ تحت مظلة الغموض، لامثيل لها على مر العصور وفى مختلف اصقاع الارض طولا وعرضا . طبيعة غناء تكسوها طلاسم وألغاز مفاتحها في يد الكهنه.

معابد أبيدوس تفصح عن هيبة كهنتها وسيادتهم على اهل أبيدوس فقد حرص اهلها على الاهتمام بنظافة المعابد والحفاظ على قدسيتها والمواظبه على اداء المراسم والطقوس الدينية وتقديم القرابين تقربا للألهه ولكن براثن الكهنه طغت على مواطن الالوهيه فى نفوسهم وحل محلها الخوف والذعر من المستقبل المجهول؟!

فقد تفشت فى المدينه أنباء عن اختفاء الحسناوات من نسائها فى ظروف غامضة واتضح فيما بعد ان تلك النساء من اللواتى يترددن على المعبد باستمرار كما انهم من الطبقات الراقية ويحظين بمكانه رفيعه عند حاكم البلاد واغلبهن على الارجح كن زوجات لرجال الدولة، الأمر الذى اثار الهلع وكثرة الشائعات التى اثارت الجدل وتناقلت على لسان الوشاه منهم.

مما جعل الملكه خنتكاوس الملكه الام تخشى على مملكه ابيدوس وانهيار الحكم وانتزاع السلطه من بين يدى ابنها الحاكم سارحورع بعدما تمكنت من عقد هدنه مع الكهنه وخاصة انهم لم يكونوا على وفاق مع الحاكم بشان تدخلهم فى سياسة ونظام الحكم.

كانت خنتكاوس تعمل دوما على فض النازعات بين الكهنه وابنها الحاكم فكانت بمثابة البرد الذى أخمد نيران الضغائن والاحقاد المتجسده على ملامح وجوه الكهنه.

وقفت خنتكاوس فى باحة القصر تفكر فى الأمر بجديه وتسعى بكافة السبل ان تصل حقيقة الأمر وهى على يقين ان الكاهن رابيدوس الكاهن الاعظم له دخل فى تلك القضية الشائكة ولكنها لا تريد مواجهته حتى لا ينكر تورطه فى الامر فلديه وسائل اقناع واساليب ملتوية تجعله يخرج من اى مازق بكل سهوله ويسر،غير ذلك اذا شعر بانقلاب الملكة فلن يتوانى عن اثارة الكهنة لقلب نظام الحكم حينها ستكون فرصة سانحه للاستيلاء على كرسى العرش بكل سهوله فبدات الاحداث تدور برأسها فى حوار نفسى مفتوح لانهاية له.

خنتكاوس: ما العمل اذا اريد الوصول الى الجانى باقل خساره ممكنه قد اصبح أمن البلاد فى خطر داهم حتى الكهنه وان فلت زمامهم كيف استطيع السيطرة عليهم لوقت طويل وسارحورع لو شعر ان الكهنه لهم دخل في أمر اختفاء النساء سيكون وبالا محتما علينا وعلى الشعب ما العمل ساعدنى ياأمون لاجد الحل.

سارحورع: مالكة أمرى المعظمة كيف حالك اليوم أراكى زائغه العينين حائرة الفكر ما الذى يشغل تفكيرك ألتلك الدرجه تخفين عنى أمرا عظيما أخذكى منى فى مراسم الاحتفال.

خنتكاوس فى تشتت: أي احتفال؟ لا أخفي عنك شيئا ياملیكى المدلل، ان أمر اختفاء النساء يشغلنى كثيرا وأريد معرفه الحقيقة، معذره... عن أى مراسم تتحدث؟ أووه انها ذكرى تقلدك السلطة وعرش البلاد،لا حبيبى لن أنسى لقد أعددت كل شىء مثل كل عام .

سارحورع: أعلم يأمى ولكن غيابك طغي على كل مراسم الأحتفال ونزع قيمة الأشياء وجمالها وشعبك انتظر كثيرا هيا ياأمي، وسنبحث في أمر النساء فيما بعد.

الشعب يهتف: يحيا سارحورع العظيم، تحيا ملكة الحكمة خنتكاوس

خنتكاوس: شعبنا الحبيب نحن دوما على عهدنا ما أستطعنا لردع الظلم ونشر الأمن في أنحاء البلاد.

الكاهن رادوبيس في انحناءة بها تبجيل ممزوج بنظرة انكسار: ملكة أبيدوس أريد التحدث اليكى فى أمر هام،قاطعه الملك سارحورع قائلا: لا مانع رادوبيس ماذا تريد أن تقول تكلم .

الكاهن رادوبيس: علمت بالأمس أن زوجة الوزير زوسر السيدة ميريت اختفت منذ البارحة ولا نجد لها أثرا فى أنحاء أبيدوس فجئت أطلب بتفويض من الشعب نهاية لتلك الفواجع التى فرطت من عقد لعنة أبيدوس والتى ستمحى هيبتنا وتقضى علي الملك.

اقشعر بدن الملك سارحورع مما قال الكاهن ولكن سرعان ما تمالك نفسه وتعنف قائلا:

لعنة... أى لعنة تشير اليها حضرة الكاهن، كان من الأحرى أن تحقق في الأمر وتفصح عما فى جعبتك وتبرز قدراتك وجبروتك وتأتينى بنتائج مرضية لتقع العقوبه على من يستحقها.

تلكأ الكاهن رادوبيس في استطراد الحديث قائلا:لا علم لي بشىء سيدى الحاكم ولكن الشك تسلل الى الجموع الحاشدة بالخارج ولطالما بدا الأمر فى غاية الخطورة ولا زلنا لا نعرف من الجناة وأين أختفت النساء.

رد الملك وقد كشر عن أنيابه:أيها المتغطرس بلا جدوى ،بدلا من كلماتك الساخره اذهب وابحث عن قائد الحرس ولا تعودا قبل أن تأتيانى بأخبار النساء والا فاستعدا للعزل والمحاكمة ان لم تطلعونى على حقيقه الأمر.

ارتاب رابيدوس ولم يتردد في طلب الانصراف مسرعا الى قائد الحرس ليتدبرا الأمر ،وخرج من باحة القصر مهرولا علي عجالة ولم يلتفت لأحد ليفتش عن قائد الحرس الذى ذهب في مهمة حربية خارج اسوار المدينة،واتجه الى المعبد عازما على عقد اجتماع عاجل مع كهنة المعبد ليتداركوا ما آلت اليه الأمورفى محاولة للوصول الى حل جذرى.

دخل رابيدوس الى قاعة المجلس وبرفقته كبار الكهنة ودعاهم للجلوس فبدأوا يتهامسون بأحاديث جانبية متسألين عن سبب الاجتماع الطارىء ،مما أثار غضب رابيدوس فضرب بيده على طاولة المفاوضات ضربه عنيفه قرع دويها فى أذن الحاضرين فأسكت ألسنتهم وجذب انتباههم.

انطلق الكاهن الاعظم رابيدوس فى حديثه مستفيضا في شرح ما صال وجال في قصر الملك الي ان قاطعه الكاهن اليخماهو قائلا :وماذا اذا افتضح أمرنا!

وهنا علم جميع الحاضرين من خدمة المعبد أن رادوبيس وراء ما حدث لنساء المدينة بعد أن كان السر كامنا بينه وبين أليخماهو الذى كان بمثابة ذراعه الأيمن ولو كان لبتره بيده في تلك اللحظة الحرجة.

فانصب غضب رادوبيس علي أليخماهو أمام الحاضرين وانفعل قائلا: لن أنتظر أكثر في تلك المسرحية السخيفة سأقضى عليك الأن أمام الجميع وسأقضى علي كل من أعترض طريقى الى العرش.

فارتاب الكهنه ذعر غير معهود ممزوجا بالصمت خوفا على أرواحهم.

استمر رادوبيس في الحديث قائلا أتودون معرفة ما حل بنساء المدينة، اذا تابعوا ما سأفعل به لتعرفوا كيف كانت نهايتهن ولا تقاطعوننى أثناء عملى حتي لا تحل عليكم اللعنة جميعا.

بدأ رادوبيس يكبل أليخماهو حتي يضعف مقاومته ولا يستطيع السيطرة علي نفسه ثم أمرهم بجمع الحطب واضرام النيران وبدأ يحلق شعر الكاهن بأكمله ويجمعه في قبضة يده وهو يتمتم بتعويذه ما وردت على مسامع الكهنة من قبل ولا حتى أليخماهو يقدر علي فك طلاسمها وشفراتها وان بدا هو الشخص الوحيد الذى أدرك كيف سيكون مصيره والي أين تؤول خاتمته.

(برديه فينوس)

تقول الاسطورة فى بردية فينوس التى عثر عليها الكاهن رادوبيس مصادفة عندما كان يمر فى دهليس السرداب القديم الخاص بالمعبد أنه اذا استطاع من وجد البرديه ان يقتل عشره من حسناوات أبيدوس ويحلق شعورهن ثم يجمعها في ضفيرة واحده ثم يحرقها ويأتي برمادها وينثره في النهر المقدس سيستحضر بذلك روح الأله أمون والتي ستسرى في جسده وسيؤتى قوة وملكا عظيما ويملك زمام الحكم في قبضته ، ولسوء الحظ وقعت البرديه في يد الطاغية رابيدوس لتحمل أحلامه اليه ويستغلها علي النحو الأمثل لتحقيق أغراضه الحقيرة وأطماعه الدنيئة أملا في السلطه ونفوذ الحكم ولو علي رفاة وأرواح النساء اللواتى تلذذ بقتلهن مستعينا بأليخماهو الذى لطالما كان مطيعا لأوامره دون تفكير أو حتى دون طلب تفسير ، كان يستخدم معه الحيل والأساليب السحرية ليطوعه لأهدافه، كان أليخماهو مغيبا وهو في كامل وعيه وادراكه يعمل جاهدا علي تنفيذ أوامر سيده دون تردد ، كان يمهد السبل لاغواء النساء واغرائهن للتردد على المعبد بصفة مستمره مستعينا فى ذلك بنقاط الضعف التى تراود

وتداعب أحلامهن ، فمنهن من حرمت الانجاب ومنهن من أرادت الجاه والنفوذ ومنهن من تأمرت لكيد النساء فغلبها كيدها وكان وبالا عليها ، وغيرها من أمال مزيفه جعلت من الضحايا فريسه سهله الاقتناص ولقمه صائغه في فم الكاهن وخادمه .

وبما أنهما كانا يعملان فى صمت ودون أن يتركا أثرا لجريمتهما ، فكان العمل ناجحا في بادىء الأمر ولكن بعدما توالت الضحايا واحده تلو الأخري صار استكمال المسيرة أمرا شبه مستحيل.

بعد أن حلق الكاهن شعر اليخماهو استل سيفه من غمده وطعنه عدة طعنات نافذة حتى أجهز عليه وتأكد من موته وهو يضحك ضحكات هستيرية ويباشر طعنه والكهنة ينظرون كالأصنام لاصوت ولا حراك وكأن طعناته نفذت من خلال أجسادهم وقطعت ألسنتهم وأخرجت أحشائهم فصاروا مومياوات حية جاهزة للتحنيط،حل رابيدوس وثاق جثة اليخماهو وألقاها فى النار هى وشعره وأحرقها حتى تفحمت بالكامل مع أن برديه فينوس لم تنص على حرق الجسمان بينما أراد رابيدوس أن يضلل الكهنه ويبث الرعب في قلوبهم ويكمم أفواههم فماذا أبشع من الحرق حتى ولو بعد الموت،فقد كان حرق الجثمان عند المصريين القدماء عقابا عسيرا يقصد به اخفاء وتشويه معالم الجثمان وتضليله فى رحلة الوصول الي العالم الأخر والبعث والخلود حيث لم يستدل عليه. كما أن للتحنيط قدسية لن ينالها الا الشرفاء.

استأنف رابيدوس حديثه قائلا اتريدون معرفة المزيد أم أن هذا يكفى؟

ياحراس اقبضوا على الكهنة وزجوا بهم فى المعتقل،من الأن جميعكم معتقلون الى أن أكمل عملى الذى شارف على الأنتهاء،لن تكونوا القشه التى قطمت ظهر البعير أو الغصة التى وقفت فى حلقى فقتلتنى،أغربوا عن وجهى ليس لدى وقت كافى.ثم اتجه الى السرداب الذى أحاله الى مقبرة الجمال التى احتوت الحسان ليكمل ما ورد فى النصوص بشأن عملية

التحنيط فمن ضمن الشروط الواجب توافرها فى البرديه ان يجمع رفاة النساء فى مكان واحد لمدة أربعون يوما كاملة ثم يستكمل عملية التحنيط والدفن وبعدها مباشرة يخرج الى النهر المقدس ومعه رماد الضفيره المجدوله من شعور النساء،ويجب ان يتم كل شيء بالطريقه السالف ذكرها بالحرف الواحد والا سيبطل مفعول التعويذة وسيغضب أمون غضبا عارما لم يراه أهل الأرض من قبل وتعم اللعنه على الكون أجمع.

ولكن كيف سيحتفظ بالجثامين أربعون ليله ونهار،فكر رادوبيس فى حيله شيطانية تخرجه من ورطته مع الحاكم،فلماذا لا يستعين بوفاة اليخماهو فى اتقان الحبكة الدراميه.

فاذا اتهمه فى قضية اختفاء النساء وهو ميت لن يستطيع الدفاع عن نفسه كما أنه زج بمعاونيه الكهنة فى السجن حتى ينظر الملك فى أمرهم ولن يجرؤ أحدهم على قول الحقيقة والتصريح بفعلة رادوبيس الدنيئة فمن يخون عهده مثواه الجحيم.

فمضى فى طريقه سعيا الى قصر الحاكم ليعلمه بفعلة اليخماهو المشينة وأنه اغتصب النساء وقتلهم بمعاونه الكهنه فقام رادوبيس بقتله وحرقه ولكن لسوء الحظ اعترض طريقه الوزير زوسر زوج الضحيه الاخيره والذى كان يراقبه منذ فتره بمعاونه حراس المعبد واستطاع التسلل الى المعبد وقاعه المفاوضات وسمع وشهد كل اعترافات رادوبيس بعد قتل اليخماهو وكان بصحبته قائد العسكر فقبضا عليه وقدموه الى الملك فأدلى باعترافه أمام الجميع ولكن بعد فوات الأوان.

(الحكمه من نص البرديه)

كتب البرديه أحد ملوك العصور القديمه وأراد بها أن يجمع بين الجمال المتجسد في سحر النساء والخير والنماء المتضافر فى جدائل الشعر الطويل والنهر المقدس وروح أمون لتسود الحكمه فى ربوع الوطن،لم يقصد بها أبدا القتل بل أشار للموت كسبيل للخلود والحياه

الابدية مؤكدا على ذلك بضرورة استكمال مراسم التحنيط والدفن ، ترك الملك برديته التى كانت وصيه لمن بعده في سرداب المعبد ليؤكد علي قدسيتها ووضعها فى المكان الامثل لتصبح فى مأمن من أيدى الغاصبين ،أراد حكمة فكانت وبال ونقمة ،أراد أن يلقن درسا فيه زرعا وحصادا وغرسا فقوبل بطمع وجحود ولهو وعبثا

تحققوا من عبرة الأسطوره تكتمل زوايا الصورة

❊❊❊❊❊

لا تدوم

محمد نجيب

وجد كهلاً ينتظره على باب المسجد، يرتدي ثياباً ثقيلة في هذا الطقس المنعش، يغطي رأسه بقلنسوة من الصوف الثقيل الداكن، سلم عليه فأحس بالبرودة تجري في أوصاله، بادره بالقول: أنت لا تعرفني لكني أعرفك من زمن بعيد.

نظر إلى الكهل بريبة فهو لم ير سحنته في حياته قط، أحس بما يجول في خاطره فلم يغضب، فاستكمل: ألا تتذكر الحاج أحمد خليفة؟ أبوك وجدك كانوا من أصدقائي القدامى، كانا يرسلانك إلى مكتبي وأنت طفل، تذكر الاسم ولكنه لم يتذكر الشكل، تذكر أن جده كان يرسله إليه في مكتبه لطلب المساعدة والعون.

هش وبش للرجل ورحب به، ولكنه أحجم عن دعوته إلى شقته المتواضعة فوق السطوح في حي باكوس، فالحال لا يسر، الأطباق متناثرة في المطبخ على غير هدى، وبقايا الطعام متبعثرة في الأركان، والحمام رائحته لا تسر.

أكمل الرجل كلامه وكأنه قرأ أفكاره: لا يمكنني الصعود للأدوار العليا لأنني مريض وليس لديكم مصعد، هيا بنا نتجاذب أطراف الحديث بينما نتناول الطعام في أقرب مطعم.

شكره واعتذر عن الدعوة في أدب جم وسأله في وجل: ما هي الخدمة التي يمكنني أن أسديها إليك؟ أصر الرجل على دعوته قائلاً: سأخبرك عما أريد أثناء تناول الطعام.

لان له بعد حين، على الأقل سيرفع عنه مشقة شراء وإعداد طعام العشاء، والذي لا يمكن أن يرقى بأي حال من الأحوال إلى عرض الرجل.

أقبل الشاب على الطعام الشهي بكل همه وكأنه لم يتناول الطعام منذ ولادته، بينما لم يتناول الكهل سوى القليل، واكتفى بوضع أطايب الطعام أمام ضيفه:

- أعرف أنك تعاني مشكلة في دفع مصاريف الدراسة التي تثقل كاهلك، وأعرف جيداً أن وضعك المالي ليس على ما يرام، و مصاريف المشروع .. و .

قاطعه الشاب بسرعة غاضباً بعد أن احمرت معاطسه.

- أنا أتدبر أموري و لا أحتاج لأي أحد.

- عفواً .. العشرة القديمة وفرق السن بيننا، يجعلاني في مقام الوالد الذي لا تغفل عيناه عن ولده.

- حسناً .. هل ستعرض عليّ قرضاً أسدده إليك بعد التخرج؟

- لا.

اتسعت عينا الشاب من الدهشة وفتح فمه ليقول شيئاً غير أن الرجل عالجه بقطعة كبيرة من الكباب في فمه، فبدأ الشاب على الفور في مضغها مبتسماً.

- أعرض عليك عرضاً ولك الحق في قبوله أو رفضه، أنا رجل ميسور الحال، لكني مقطوع النسب، لا أحد يرثني، فكرت في التبرع بأموالي للجمعيات الخيرية، لكنني لا أثق فيها، أبحث عن شاب يتقي الله، لديه الطموح والارادة لكي يصل إلى أعلى الدرجات العلمية، لأعطيه نقودي كصدقة جارية، بلع الشاب ريقه في دهشة، وهو يتظاهر بعدم الاكتراث، فأكمل: أنت المقصود بهذا العرض.

كاد الفرح يطيح بعقل الشاب، لكنه كتم سعادته، و كأن الأمر لا يعنيه، فلم يبدِ أي اهتمام، استمر في تناول الطعام بهمة بينما عقله يقلب الأمر.

- لابد وأن يكون هناك مقابل، ما هي الشروط؟

- ليست شروطاً بالمعنى المتعارف عليه، مجرد خطوات ضرورية لتنفيذ الاتفاق.

- ما هي تلك تلك الخطوات بالتفاصيل الكاملة؟ لن أوقع أي أوراق رسمية تستخدم ضدي.

- إجراء فحوصات طبية دقيقة، بعدها يتم عمل تنازل طوعي عن ثروتي بالكامل نهائياً بأوراق رسمية لصالحك، اقرأ تلك الأوراق أولاً لتطمئن.

بعد أيام سلم الشاب التقارير الطبية، طغت الفرحة على الكهل بشكل كبير، أخبره الرجل أن آخر كشف سيجريه في الغد على نشاط المخ والأعصاب في معمل خاص.

هناك ألبسوه خوذة تخرج منها غابة من الأسلاك المتعددة الموصلة إلى جهاز رسم المخ كما أخبروه، شاهد أشكالاً عجيبة ليس لها أي مغزى على الشاشة أمامه، بينما كانت الراسمة تطبع على الورق خطوطاً منحنية ذات متعرجات تشتد وتقل.

بعدها خرجا معاً ليحتفلا بتلك المناسبة السعيدة، أكلا من الطعام أطيبه، وشربا حتى ارتويا، بعدها ودع كلاً منهما الآخر، وقد حقق كلاً منهم ما يتمنى.

أحس الشاب بصداع شديد في رأسه، هاجمته الهواجس، كأنه يحلم بوجوه لم يرها من قبل والغريب أنه يعرفها، تراءت له خيالات غريبة ممزوجة بضحكات عالية، تعقبها صرخات ألم ومعاناة رهيبة.

توجه إلى سيارة بعينها في مكان محدد لا يعرف كيف وصل إليه، وهو الذي لم يقد دراجة في حياته من قبل، وكأن أحداً بداخله يوجهه نحوها.

مد يده في تلقائية إلى جيبه وأخرج المفتاح، وانطلق لا يلوي على شيء، لا يدري بأي طريق يسر وإلى أين يتجه، حتى وصل إلى قصر منيف، شديد الحراسة، دخل من أحد البوابات الالكترونية التي فتحت تلقائياً، لم يعترضه أحد، أوقف السيارة وقفز فوق درجات السلم في نشاط وهمة، بعد أخذه الحمام الساخن، لم يرد على استفسار الخادم بتجهيز الطعام، بل اكتفى بتحريك رأسه رافضاً في تثاقل.

دلف مباشرة إلى غرفة نومه، ألقى ملابسه على عجل، ودفس رأسه تحت الغطاء، وراح في سبات عميق.

بعد كوابيس وأحلام ليس لها معنى، شاهد فيها آلاف الأماكن في مدن كثيرة لا يربط بينها أي رابط، ووجوه لم يرها من قبل لكنه يعرفها.

عند الفجر قام متثاقلاً لأداء الصلاة، وجد نفسه في حالة إعياء شديدة، حاول إضاءة المصباح بجانبه فلم يعثر عليه، مد يده لكي يحضر نظارته الطبية من الدرج المثبت أعلى السرير فلم يجد الرف، تحامل على نفسه حتى نزل بعد جهد جهيد، بحث عن زر الاضاءة حتى وجده بصعوبة شديدة.

هتف مذعوراً... يا إلهي... اكتشف أن غرفة النوم ليست غرفته، مساحتها أكبر من مساحة شقته القديمة، نظر إلى المرآة، وصرخ بصوت عالٍ خرج كالصرير، تلمس أسنانه فلم يجدها، صورته في المرآة تعكس صورة الرجل العجوز، كل الصور حوله في الغرفة تحمل صور الكهل المقيتة.

هبط بسرعة إلى صالة الاستقبال أسفل القصر، قابله أحد الخدم وأخبره أن فطوره جاهز، حاول تناول الطعام، فلم يستطع حتى أحضرت له الخادمة طقم أسنانه من غرفة النوم.

سأل عن غرفة المكتب فدخلها وبحث فيها فلم يجد أي شيء يدله أين هو، أو أي نقود، سأل عن المحامي فاستدعوه، سأله عن الأموال والممتلكات، فأخبره أنه تنازل بصورة نهائية طواعية عن الثروة لهذا الشاب الغريب، وأن هناك وديعة في البنك باسم الشاب خصصها له، تكفي بالكاد للصرف على تدبير شئون البيت.

علم أن في الأمر مكيدة، وأسقط في يده، لا يعرف كيف يصل إلى هذا الرجل الذي سرق شبابه ومستقبله مقابل اسمه الذي لا يستفيد به، تركه كهلاً بائساً فقيراً، لا مستقبل له.

بحث عن المستشفى الأخير الذي أجرى فيه رسم المخ حتى وصل إليه، علم أنه افتتح من فترة صغيرة قبل دخوله، ثم اغلاقه بعد خروجه منه مباشرة، عاد يائساً من كل شئ.

صادف في المنطقة أحد أطباء المركز الذي أجرى له اختبار المخ والأعصاب، أخبره أن ما حدث في المركز كان نقل لكل المعلومات والذكريات بين مخين، بحيث تنتقل مشاعر وذكريات وخبرات كل مخ إلى الآخر، لكنه أضاف فجأة بعد أن هم بالانصراف، أن الشاب لقى مصرعه فور وداعه بحادث سيارة أمام المطعم.

❊❊❊❊❊

عين الحياة

وسام محمود عبد الحميد

الأخوَان حارَ طب و جارُ طب، إن حضرة الملك حِكمانهَر عون يعاني من قلق غريب أو مرض عجيب، ولقد أرشدنا الكاهن عين الحياة لإحضاركما إلى القصر، فتنظرا ماذا به .

حسنا، امنحانا بعض الدقائق لنحضر أدواتنا ونذهب معكما على الرحب .

رتبا أشياء لا ندري أكانت آلات طبية أم فلكية استكشافية .

مضينا جميعا وُجهتنا قصر حكمانهر عون .

تقدمنا حارسا يستبدل بآخر على طول ممرات تنتهى بالجناح الملكى الذى يوصد بابه حاجبا يبلغ من الطول أذرُعَه ومن العرض منكبيْن عرض ذلك الباب الذي يرتعد خلفه، أوقفنا دقائقا معدودات حتى يُعلم الملك وطبيبه الخاص بحضور الأخوين طب، ويطلب لنا الإذن بالدخول، عاد متحمسا سامحا لنا .

سيدي الملك، أكان مناما ما رأيت، أم حلمَ يقظة؟

لو كنتُ أعلم ياطبيب هل كنتُ أتيت،بكم جميعا ؟!!

وكانت الغرفة الملكية مكتظة بكبار الكهنة والحكماء ورجال الطب المتميزين بالجمع بين الحكمة والعلم، التفت الكاهن عين الحياة للطبيب حار طب أن يتقدم، ثم أخبر الملك أن يقص عليهم الأمر من جديد، فاتكأ الملك ثم استرسل يهذي بجُمل انفعالية :

لقد رأيتها حقا كانت فارعة كنخلةٍ لا تنحني، جميلة كوردةٍ لا تذبل، أصيلة كنهر النيل... !!

تحولت لهالةٍ من الأضواء المتراكبة، لا أدري أكانت نورا أم نارا... .؟!!!

يعلو صوته شيئا ما، ثم تصبح عيناه غائرتين، تتشحان بالحسرة تقاومان الانكسار، ويضيف بصوتٍ خافت او خائف :

ثم تختفي... .!!!

يسأله حار طب: هل تشبه الملكة الأم ؟

تائها، يجيبُ الملك: ربما .

يستطرد متذكرا، حملت كتابا كان بيدي ومفتاحا ذهبيا كبيرا كان جواري و قالت: آن الأوان ياحكمانهر، فلتتهيأ لما هو قادم إليك لا محالة .

ماهو ذا القادم إلي يا طبيب ؟

من هي آخذة الكتاب والمفتاح يا حكيم ؟

كانت تقوم بسكب طعامٍ، فُتات طعام، لقططٍ صغيرة و كثيرة، و تلهث القطط وراءها ككلاب ضالة، وتركض أحصنة رشيقة ذات أعينٍ كحيلة، تقول الدم واحد لكن المصالح لا تتشارك، ثم تصب اللبن صبا فيصير أنهار لبن تحت عرشي، أنادي الحراس أحضروا الطهاة ولتُقام مأدبة عشاء بحلوى اللبن والسكر، أتعرفون ما السكر أيها الكاهن ؟!!!

يذهب جار طب إلى الشرفة و يقيم آلته الاستكشافية و التي تشبه منظارا عظيما تطالع النجوم في وضح نهار مشمس، لا أدري ماذا تكون وجهته .

يسأل حار طب الملك مجددا، هل شربت من ذلك اللبن، ياسيدي ؟

لا أدري هل كان لبنا حقا أم كان خمرا متشحا بلون اللبن ؟

يعود جار طب من الشرفة، ويقول إنها الحاء باسمك سيدي حنانا، حبا، حلما، أم حضارة لا ندري عن مستقبلها الكثير فلقد رأيتُ القمر «عُون أراد» في مدار كوكب أنهاركان، إنه التبصر بداخلك مولاي، يعلن عن شيء ما .

يذكر الكاهن عين الحياة للطبيبين أن الملك كان نائما في مخدعه الملكي وحين قام يقص ذلك الحدث كان في الحديقة، فيندهش الطبيب حار طب ويسأله: هل رأيت الملك عون وهو ينتقل إلى الحديقة، فيجيبه: لا، ولا أحدا من الحراس أو الخدم.

يستطرد الملك و يسرد لهم، لم أذكر أني انتقلت إلى الحديقة، كانت تلك الطيور الصغيرة تنوى أن تحلّق عاليا، لكنها ارتدت على أعقابها تحوم حول تلك النار، ثم أني لم أغادر مخدعي بل سافر عقلي إلى هناك ، وراءها، هى من سافرت بي فوق تلك البنايات العالية ذات الشرفات البللورية والستائر المعتمة، كان هناك بشر كثيرون غريبون وصناديق معدنية تتحرك ذاتيا على عجلات ثم ألقت بي في مياه عظيمة لا أصدق أن يكون ذلك هو نهر النيل العظيم فلقد كانت مياهه سوداء قاتمة غير شفافة، رائحتها نفاذة غير مبهجة، لم يكن له حَرَما مطرزا بالأشجار والنخيل بل شاطئا مُكَدّسا بالمنازل والحانات والقوارب الضخمة ذات الضجيج المزعج، أكنتُ لازلت في مصر الطيبة يا أطباء... ؟!!!

الجميع في صمتٍ يتخيلون مايقصّه الملك، بالتأكيد لا، يا مولاي، أجابوه متأثرين.

عم الصمت، وسادت رهبة الفكر أرجاء المكان والملك يفيق دقائق ويغط في نعاسٍ لساعات.

وقف جار طب و عين الحياة، يطالعان في ذلك المنظار المعظم، يتمحصان ضوء الشمس، وهالات الكواكب، يقول جار طب إنها الكاف كلماته الطيبة وكينونته الملكية وكرمه الأصيل، فإن الشمس تعم مدار القمر «عون أراد» ..

أتهاجر روحى إلى بلدان مختلفة أم خَرِب عقلي يا حكيم ؟

سيقوم الطبيبان بتحليل ودراسة الأمر ياسيدي.

غادروا المخدع جميعا، وجلس جوار الملك الأخوين طب و عين الحياة، يلتزمون الصمت ويركزون الفكر، وطلبو جميعا من الملك أن ينام او يصحو كما يحلو له وكأنهم ليسوا بمكانهم.

بات الملك ليلته في فراشه كما بات أفراد القصر تلك الليلة ماعدا اولئك المراقبون الثلاثة، واستيقظ في صباحه لتبدأ طقوس ومراسم اليوم الذى يبدأ بشروق شمس الإله، وكان في مُلكِهِ متربعا على عرشه، يتلقى شكوى وزير، ويلقي الإذن لآخر، حتى حضرت زوجته ماريا عُون وطلبت الإذن بالدخول، وسمح لها، فدخلت ماريا إليه مباشرةً: - ماذا بك حبي الوحيد ؟

.. لا شيء، غاليتي، إنها مجرد خيالات أراها تقلقني شيئا ما

- أهي شيئا من السحر يا مولاي ؟

.. ربما .

- ماذا يمكن أن يكون غير ذلك ؟

.. سيخبرني الأطباء حين يتوصلون لقرار ..، تفضلي الآن .

- بأمرك مولاي .

خرجت، وأخذ حكمانهر يفكر، ربما السحر، لماذا لم أسأل السحرة حقا ؟

وقبل أن ينادي على الخادم، دخل أحد الحراس يستئذن لدخول سيدة عجوز تصر على لقائه .

اندهش الملك، من تكون تلك العجوز،

وماذا تريد ؟

لكن فضوله يدفعه لإعطائها الإذن، دخلت العجوز منحنية الظهر تتكأ على عصا تجر ساقيها من وهن...

.. ماذا تريدين يا أمّا ؟

- لقد علمت بمرضك مولاي .

.. ماذا تقولين يا امرأة، أنا لست مريضا، سأقتلك ومن أثار تلك الشائعة .

- لا أحد أثار شيئا أنا علمت وحدى دون أن يخبرني أحد .

.. هل أنت ساحرة أيتها العجوز ؟ (لازال يحركه الفضول) ماذا علمتِ ؟

- لست ساحرة، بل عجوز تجد قوتها يوما و تتسوله يوما آخر، ليس عندى سوى قلب لا يحمل مثقال ذرة من حقدٍ أو نقمة ..

.. هاتِ ماعندك .

- إنك لا تنام من طموح يسيل حكمة، وكدحٍ يضني عقلك، ومرآة تحيا بعينيك تريك مستقبلا بعيدا أحيانا وقدرا عجيبا أحيانا أخرى، أما ذلك النهر الذي يجري بين أصابعك يفيض من طيب أصلك، ويعبق من وطأة قدمك .

.. نعم، إنها حروف اسمي و هذا حالي، لمَ قلتي عنه مرض ؟

- تراه هكذا، تخشاه لذلك، ويحاول البعض حولك أن يقنعك به،

.. إذن، ماهو ؟

- إنه التبصر يا سيدي .

.. هل من مانعٍ له، لقد أصبحت مشتت الذهن ؟

- إنه منحة من الشمس، رؤية جديدة لوطنٍ لا يكف عن الحلم .

تخرج العجوز، وتترك نفس التساؤلات، أي حلم و أي وطن ؟

يراقبه عن كثب جار طب، اتفقت العجوز ذات البصيرة مع مدارات أفلاكه، يطلع في منظاره ويراقب ملامح الملك، لقد حار القمر عون أراد بين مدارين حول الشمس وحول الأرض، واطلع على مدار كوكب انهاركان فكانت النجوم السُّدم تتناثر في حِزَم ثم يحل الغضب بحكمانهر، فتنظر عيناه الثاقبتين إلى ذاك المنظار، و يتساءل: أى وطن ترى يا جار طب... ؟

- ربما مصر الطيبة يا مولاي . وربما وطن آخر ينمو في خيالك .

يحل الليل، و حكمانهر لا يرقد له بال و لا يغمض له جفن، يفكر في تلك العوالم التي ينتقل إليها ويعيش بتلك الأحلام التي يسافر بها، يرتكن إلى كرسيه قليلا، لتبدأ رحلة لا يعلم عنها سوى أنه أنهكه السير في مخدعه ذهابا إلى الشرفة وإيابا إلى الفراش، فجلس يستريح قليلا، لا ينطق بحرف، لكنها ملامحه وتعبيرات وجهه التى يرتسم عليها الذهول تارة و الانسجام تارة أخرى، وإذ فجأة قام من كرسيه مضى إلى فراشه و خلد إلى نوم عميق آخذا وضع القرفصاء ليس نومة الملوك، لم يفهم عين الحياة ما حدث، ولم يصنفه حار طب ضمن اضطرابات النوم لأن الملك لم ينم بل ارتكن ثم دخل في حلم ثم قام ومضى مغمض العينين وخلد إلى النوم، لكن جار طب لاحظ كل خطوة، لقد سار الملك نحو الشرفة، رفع رأسه كأنما ينظر إلى تلك النجمة هناك، وابتسم ثم اتجه لفراشه، أسرع جار طب الى منظاره بالشرفة ليبحث عن تلك النجمة، لم تكن سوى واحدة لامعة اكثر من غيرها لكنها مع ذلك في وضع الأفول، أفلَت بعد أن غادرها الملك، لكن وهجها لم يكفيه دقيقة أو اثنين ليغادر ..، حدد مكانها وقرر ملاحظتها، عندما استيقظ الملك كان عابسا: رأيت النساء غير عادلات، غير ساكنات، تعلو أصواتهن صوت الرجال، ما تلك المدينة التي تسمح بذلك ؟!

- متى بدأ حلمك يا مولاي ؟ سأله عين الحياة .

.. قبل أن أنام رأيت شيئا، و قبل أن أصحو... ...!!

يرى جار طب أن الملك تحت تأثير تلك النجمة، أما حار طب يخمن اضطرابا جديدا تحت الدراسة من اضطرابات النوم، أما عين الحياة فكأنما يذهب مع الملك إلى تلك البلاد، أي وطنٍ يعيش في حلم و لا يكف عن الحلم ؟

.. اليوم مشمس ماريا عون، إنه رضاء الرب .

- بل نقاء سريرتك وصفاء قلبك، عزيزي الملك .

.. ولم لا تتحكم سريرتي وصفاء قلبي في الذي أراه وقتا تلو آخر ؟

- هل ترى شرا ما يا مولاي ؟

.. أحيانا .

- الخير منك، و الشر من «چان طان» .

.. لا أدري .

يمضيان في تؤدة بين الأزهار و الأشجار بحديقة القصر، ضامًّا كفها إلى قلبه، وصوتها يطرب مسمعه، الخير منك... !!

وفجأة يحدق الملك بتلك البحيرة التي يسبح بها طيور البجع و الأوز ذو المنقار البرتقالي و الريش الابيض و بعض البط ذو الرأس الاخضر الزاهي،

.. ماذا يصير في قصري ؟

- ماذا يصير يا مولاي ؟

.. انظري هناك .

- ماذا ترى عزيزي الملك حكمانهر ؟

.. إنها البحيرة ممتلئة بالدم، خالية من الطيور، قلتي الخير مني، ماذا يصير، ماذا ؟؟

اهدأ يا حبي الكبير، إن كل شيء على ما يُرام،

- البحيرة والطيور بخير، ماذا بك أيها الملك البهي الأبي، ماذا ؟

.. منطقيٌ ألا ترين ما أرى، أثق بك عزيزتى، فإن كان ماوصفتي فهو ذا، وليصبح الخير منك يا فتاتي الغالية .

- دعنا نرتاح هنا بين الورود، وإن فضّلت العودة إلى القصر فأنا معك مولاي .

انتهى الأمر عندما جلسا للراحة وتبين للملك أن الخير لم يزل بعينيه وبقصره كما هو بقلبه .

جنّ الليل و جار طب لم يبرح منظاره يراقب تلك النجمة التي لازالت آفلة،

—— أيعقل ذلك أيها الكاهن يومان ولازالت من سباتها لا تعود .

- راقبها جيدا جار طب، ربما توصلنا لتفسير .

—— إنه شهاب قادم، عين الحياة، يقترب من الأرض الآن .

- شهاب ؟!!

—— قادم بسرعة قاطعا مسار تلك النجمة، لينير ذاك القطب، مجموعة منسقة من الكويكبات الصغير، أراها للمرة الأولى، تتوسطهم النجمة المقصودة، فما كان ذلك، ألم تكن نجمة من البداية، عين الحياة .

- أتعني أن ذلك الشهاب أظهر لك مدارا جديدا ؟

—— نعم .

يأتي الملك من خلفهم في هدوء يقص عليهم ما شعر به منذ قليل حينما كان يقرأ في كتاب الحكيم والمَلَك في علم الفلك .

—— ماذا تعنى منذ قليل، مولاي ؟ دقائق أم لحظات .؟

.. ربما لحظات لبضع دقائق، كافية لتراتيلٍ قبل النوم من ثلاث سطور مثلا .

—— وربما لسطوع شهاب مثلا .

.. كنتُ جالسا أقرأ عن تلك النجوم ذات المدارات والأقطاب وشعرتُ أني أحلّق في أعلى السماء وأرى الأرض في ظلمات وأني نور بين النجوم التي تدور حولي، ثم يسقط نارا في تلك الظلمات لأتبيّن أولئك البشر الذين يموجون في الظلمات يتلَقّفون النار ويُشعلون بعضهم بعضا ظانّين أن ذلك ينير الطريق... .!!!

—— ثمة علاقة بين تبصرك وبين النجوم يا مولاي، لكنى لا أدري من يقود الآخر .

يعلّق عين الحياة:

- وما أدراك أنه تبصر وليس سحرا .

— أسحرا تقوده النجوم ؟

- و لم لا ؟

— سنرى .

لتخلد إلى فراشك، مولاي، ولا تفكر سوى في ذاتك النقية و مُلكك الواسع .

*****

نحيب الجمر

عبده حسين إمام

تشتعل بقايا قِطع الخشب الصغيرة مع فُتاتٍ من الفحم تبقى في قاع القَصْعةِ وحبَّات متفحِّمة من الذرة التي تسقط مِرارا أثناء الشي، تجلس على الأرض تستطلع شَعائِر المساء ومِحفل الغروب لشمسٍ أوشكت على المغيب وما تجُودُ به يدُ الأقدار في الخفاء وتسترسل في إشعار الوجودِ مجيئها بتهويةٍ بقطعٍ سميكةٍ من الكرتون يمينا ويسارا بقوةٍ وحميةٍ أعلى القصعة لتحرض الأخشاب الصغيرة على الاشتعال فتنتفض سحبٌ ضئيلة من الدخان الأبيض على وجهِها الطولي الذى يتوسطُه أنفٌ مدبب بين خدين بهما ندوب وتجاعيد وانحناءات صنعت منه وجها هرما ذو هيبة و مخافة بعينيها القادمتين من أساطير الجنوب و أعرابِه الأشداء، الغائرتين في مَحْجَرين يَضُمَّان نظراتها القَلِقة، من بين جَنَبَات الضاحية الفسيحة سيقت إرادتُها لهذا المكان المجاور لمحطةِ القطار على الطريق السريع حيث القادمون و الراحلون وذوى الأغراض اللذين عادةً يكونون من خارج الضاحية وكم حاولت و تسللت لإيجاد مكان تفترش فيها بضاعتَها و لكنها رُدَّت من عتاةِ البلدة و عائلاتها حينما جاورَتهم تستمد بعضَ الرزقِ و الأمن و السعادة خوفا من مقدمِها الذى رسخ في أذهانهم عنها، غابت الشمسُ و صار الليل عباءة سوداء أسدلت على استحياء ، تجلس على يمينها جوال الذرة قريبا و امام عينها و عن قرب يلهو صغارها بنتان يشبهان سنابلَ الذرة في خُضرتهما و شعرهما الكِسْتنائي الذى ينحني على جبهتهما المشرقتين في جلبة و عربدة طفولية بريئة ووسطهم اخوهما صغيرٌ قريب من الأرض كنبت لم يصِر له ساقٌ بعد.

يعلو صوتُ صافرةِ القطارِ معلنا المغادرة بدمدمة متتابعة في بطء على فواصل القضبان يتناثر الراحلون و القادمون في طريقهم أمامها و ليس بمستبعدٍ أن يأتيَ أحدُهم يبتاعُها شيئا بينا عيونها على الجمرِ المتأجج عيونها على زهورِها اللاهية أمامها في صخب و سرور و أمان لا تجده هي ذاتها و كأن عيونَها قد ولدت بها حدقات إضافية لا تغيب لحظة عن صغارها.

(سلمت يداك يا حاجَّة)

فألٌ طيب وكلمةٌ نديةٌ من شابٍ أَمرَدْ يرتدى زي عسكري ويحمل حقيبته القماشية ذات اللون الرملي الداكن متجها إلى بوابةِ محطةِ القطار فتعْقِبه حالما ينصرف:

انتبه يا بني

مشيرةً بذراعِها لِحفر الصرف الصحي الذي يقطع الطريق طوليا ويعبره السائرون على لوحين من الخشب للوصول الى الجهة المقابلة، كانت قد اعتادت على كلمات مثل يا أُبّي ويا حاجَّة منذ حَدَاثَةِ شبابِها وكم يَتَراكَم في وَجْهِ الإنسانِ أتربةٌ وأستارٌ و أغوارٌ من سنينٍ لم يبلُغها قط بل انقضت على وجهه قبل أوانها و قبل حتمية ميعادها.

انصرفت الشمسُ وأمسى الوجود يتغطَّى بظلمةِ السماء وتحولت صفرة الأخشاب في القَصعةِ إلى سوادٍ يتأجج كجمرات يسمع لها تأججا وزفيرا ويمر الوقت كسولا ومن حين لآخر تنهر أولادها إذا اقترب لهوهُم من الحفر، يتعرَّقُ جبينُها تحت شال أسود مترب ينحدر إلى كتفيها.

يمرُّ بجانبها سيدتان تحمل إحداهما مقطفا كبيرا مغطى بأوراق من جرائد فتخاطبها الأخرى بوجهها الأبيض ذو الخدين الأحمرين بلغة آمرة أن لا تنسى يا خيرية القدوم في الصباح الباكر لتسييح الزبد فتخفض رأسها طائعة صاغرة بمشاعر يشوبها السعادة بخير يتعلق في عنق الصباح:

من بعد الفجر سأكون أمام الدار يا حبيبتي.

هكذا كان ديدنُهم وباطُهم بها إنسانةٌ لاجتياز المهام الصعبة وخوض الأعمال القميئة التي كان يفرمنها سيدات بيوت العوائل و تتأفف منها الزوجات و الأُمهات حديثي العهد بالحمل و الرضاعة كم شاركت في ولادات منزلية و بين ضحكات السعادة ومرافئ السلامة و بشائر الهناء يدَّخرون لها حَمْل مَفَارَش و حُصر المَخَاض المُشَرَّبِ بالدماءِ لتحمله إلى النُّزْعةِ لغسَله و نشره في الشمس وإعادته كما لو كان جديدا و لكم شاركت في تغسيل موتى وجلست أسفل مغسلةِ الموتى الخشبية تخيط الأكفان في مهارةٍ و سرعةٍ يقتضيها الحدث بالإسراعِ و الإكرام تحتفظ في خزانتها الخشبية في بيتها بالصبار لمن تريد أن تفطُم رضيعها يأتي إليها أصحابُ الدمامل فكانت لا تتأفف من صديدِهم و لا تتركهم إلا ناضحةٌ بالدمِ الطاهرِ ينثال من شُقوقِهم العطِبة كانت قد اكتسبت من جِدَّتها لأمها عمل بعض الجبائر و علاج كدمات العظام كانت في نظر أهل البلدة أداة و آلة لرأب أصداعهم و ضعفهم و قلة حيلتهم و كِبرِهم أحيانا و لم تلتفت لها مشاعرٌ كإنسانةٍ تبحث في خشاشِ الأرضِ عن أقواتٍ لها ولثلاثة أنفس قُطعِت من قَدِيدِ لحُمِها. من شريكٍ عابثٍ لا تعرف روحُه معنى السكون والركون إلى بيتٍ وزوجة وظلَّ مرتحلا متنقلا بين القرى والبلدان تسمع عنه أخبارا غير موثوقة بأنَّه تارةً يعيش في محافظةٍ ساحلية وتارةً أنه عاد لقريتهم البعيدة في أعماق جبال الصعيد و في خفايا خيامِ عُرْبانِه وتارةً عن سفره للعمل بإحدى دول الخليج لكنها اختطفته خطفا رغم ما سَلَفَ عنه من سيرةٍ غير طيبة أثناء شبابه الطائش هربا من وحدةِ ووحشةِ العَنْسِ وعُمرٍ فَرَّ فجأة وخُصلات بيض بدأن يتسربن خلسةً حول ضَفِيرتها القصيرة وسموم مائعة من زوجة لأب عجوز ما زال يلهو بشهوته مع زوجته كطفل لاه يسيل لعابه لا يميز نفسَه عن أبنائه الكُثُر مُتعددي الأعمار والأجيال.

تربط كيسا من القماش به ما جادت به أقدار هذا المساء بإحكام وتضعه في صدرها بين

ثديين دافئين بحرصٍ وحَذر بينما الأطفال الثلاثة في سكون يلامسه النعاس والجمرات متوهجة وكل شيء يهم بالانصراف والمغادرة وكل شيء احكمته إحكاما ولم يبق غير إطفاء النار.

تهمُّ أن تعبرَ الطريقَ عبر الحفر لتحضر كوز الماء من الزير في الجهة المقابلة تسير منهكةً مُعرَّقة الجبين مُتَرَّبة الثياب وعلى مقعدتها أثر شديد للتراب من طول الجلوس وكم نعتتها نساء البلدة بأوصاف و كنايات غير طيبة عن هذا الأثر الذى لا يغادر مؤخرة جلبابها ، تسير على لَوْحِي الخشب وهي الخفيفةُ السريعةُ الماهرة اختلت فجأة ً فجأة لم تتوقعها أقدامها التي لا تكل ، و فقدت توازنها و انزلقت ساقاها و سَقَطَت بكُلّ جسدِها النحيفِ الفارع في الحَفرَ مصطدما ظهرُها بالماسورة الفَخَارِيَّة الضخمة في قاع الحفر يهب أطفالها صارخون مذعورون كَدُمى قُطِّعت الحِبال التي تمسكُها و تحركُها وإذا بوليدِها البرعم يصرخ بكلمة واحدة يعيها: (أمي، أمي، أميييييييييي)

فكانت نداءاتُه مثل النبضات لا تتوقف حتى لا تتوقف حياتُه و البِنتين يدْمعَان بدموعٍ أظلمت لها إشراقةُ جبينهما و صارتا سحائبٌ من ضَباب

(أمي، أمي ،أميييييييييييييي)

وهى صوتٌ محشرجٌ في قاع حفر غير آمن اجتمع الشبان و حشدٌ من المغادرين إلى المحطة لنجدتِها و في الأفق القريب جموعٌ من أهل البلدة أتَوا منتفضين انتفاضةً مهمةً مضطربة في جزعٍ تولد في لحظةٍ غير محسوبة رُبَّما لا تُدرك قيمةَ الهبةِ إلا عند الشعور بضياعها و من خلفهم نسوةٌ هرولت في عبثٍ ضريرٍ عاجز يتمتمون و يمصُّون شفاههم حزنا ألَّا يجداها ثانيةً وهن اللاتي أسقينها مرارا من حنظل طبقيتهم و من صلف عنصريتهم كل أعين الرجال و الشباب أمام سيقانها العارية التي تشبه السيقان البنية لشجرة شمطاء جرداء و شعرها الرمادي الذى بدا منكوشا تحت شال مزقه الانحدار و السقوط ، أي شهوة حمقاء تنال من

جسد جائع شاق و الجمر يقرقع في غضب و أزيز.

والصغير لا يكف:

(أمي، أمي، أميييييييييييييييي)

وكأنه في قربه من الأرض صار فمُ لطين الأرض وصرخة لترابها وغضبها. وهي لا حول ولا قوة لها تبكي أسفا ليس من ألمِ السقوطِ بل من فُقدانِ حيلتها وهوانِها في ليالٍ مظلمة.

*****

الجاكت

علي فتحي

رغم أنه لم يعرضه للبيع، إلا أن الكثيرين أعلنوا استعدادهم التام لشراءه، أصدقاء ومعارف وحتى غرباء. وزيادة في الإغراء، أعلنوا أيضاً تحملهم لكافة مصاريف المواصلات التي تكبدها صاحبه لشراءه من بورسعيد، بالإضافة إلى مبلغ كبير يمكن اعتباره مكسباً له من الصفقة، يجعله قادراً على شراء "جاكت" بديل واسترجاع ثمن الجاكت الأصلي. لم يكن يدري سبباً لكل هذه الإغراءات، لكنها لم تزده إلا تمسكاً بهذا الجاكت. خمن: ربما تكون جودة خاماته الأصلية، وكثافة طبقاته التي تقيه غائلة البرد، وربما يكون تصميمه المتميز والفريد من نوعه وألوانه الزاهية غير التقليدية، الأزرق الزاهي، مع الأحمر، والأبيض، الذي يجعله عند ارتداءه ومن فوقه الكاسكيتة البيضاء والنظارة السوداء، أشبه بأجنبي نزل إلى بلاد الصعيد.... حتى أخوه الصغير، تطلع إلى الجاكت بشوق، منتظراً أن يمل أخوه الأكبر من استخدامه فيعطيه له على سبيل الهبة.

بل إنه عندما سافر به إلى القاهرة، صمدت أناقته وسط عروض الأزياء المتحركة في الشوارع....وصل الأمر إلى أن فتاة جميلة من الجيران غازلته، وأول سبب جذبها، كما فكر، هو الجاكت..

حظه العاثر أن هذه الفتاة مخطوبة لأحد سكان العمارة التي نزل بها...

في اليوم التالي، حدثت مشادة تطورت إلى عركة كبيرة بينه وبين هذا الساكن...

لم ينتبه إلى أنه دخل معركة إلا بعد أن فات أوان التراجع، كان الساكن قد اتصل بشلته وأقاربه من سكان المنطقة، وأشهر في وجهه سكيناً، بينما تكفل باقي أفراد الشلة بتطويقه،

حاول الدفاع عن نفسه باستماتة، لكنهم انهالوا عليه ضرباً بالعصي من كل جانب، حتى سقط أرضاً، فانقضوا عليه ثم أنهضوه ممسكين ذراعيه من الخلف، أوقفوه أمام الخصم، الذي راح يحدثه بزهو المنتصر، محاولاً استعراض قوته وهو يقول: أتعرف ما يمكنني فعله بك؟

رد عليه ببصقة في وجهه: لا تقدر أن تفعل شيئاً....

ضحك الخصم ضحكة ثقة بصوته دون وجهه:

حتى وأنت على وشك الموت قليل الأدب؟..

أشار إليهم بأن يتركوه، فكر أن ينقض على خصمه وليكن ما يكون، لكنه رأى أن من الحكمة عدم الاندفاع....آثر التهدئة، وحاول رد اعتباره لفظياً:

لو كنت رجلاً بحق.. فلتقابلني رجلاً لرجل... بعيد عن كلابك هؤلاء..

كان الجيران قد تجمعوا وحالوا بين المتعاركين، حاولوا تهدئة الموقف "هذا لا يصح...أنتم إخوة".

اضطر لقبول الصلح على مضض وهو يشعر في قرارة نفسه بمرارة الهزيمة...

لكن ما خفف من هذا الشعور أنه وجد نفسه لا يشعر بأي ألم في أي منطقة من جسده، ربما تكون هناك إصابة غير ظاهرة لا يشعر بها الآن لفوران دمه، انتحى جانباً وراح يتحسس وجهه ورأسه والمناطق المكشوفة من جسده، فلم تصادفه بقعة دم أو خدش، خطر على ذهنه تساؤل متعجب: أين ذهبت ضربات الرجل التي رآه يوجهها إليه بالسكين؟ أم تراها كانت تهويشات تخويف لا أكثر؟ حمد الله ونعى نفسه، فهو لا يجيد هذه المراوغة، فلو أنه رفع سكيناً على أي شخص، ما كان له أن يهوش بها تهويشاً فارغاً هكذا، كانت كل تهويشة ستؤدي إلى طعنة أو جرح أو "بشلة" على الأقل،...ربما لهذا السبب يتحاشى أن يصل العراك مع أحد إلى حد رفع الأسلحة، يخشى من تهوره واندفاعه الغشيم، الذي قد يودي به خلف

القضبان، لذلك يفضل الانسحاب حتى ولو بدا ذلك هزيمة، ويفضل اجترار أحزانه واتهام نفسه بالجبن...

انفضت المعركة فاتجه إلى غرفته، وقف أمام المرآة يتفحص نفسه فظهرت له مفاجأة زادت دمه تعكيراً -بينما يحرك ذراعه بحثاً عن أية إصابة- لمح على الجاكت عدة مزق نافذة على الذراع اليسرى، وبقليل من التدقيق فوجئ بأخرى على الكتف، استدار فوجد شقاً طولياً في الخلف، يمتد من أعلى الرقبة إلى أسفل الظهر، ازداد غليان الدم في عروقه بعد أن كان على وشك البرود....، لكن الأمر قد انتهى الآن، وقبل الصلح أمام الناس، اجتاحته رغبة في نقض الصلح والثورة من جديد ليفتك بخصمه، لم يجد في نفسه قوة دافعة، أو ربما أحس بالخزي من فعل ذلك....خلع الجاكت.انزوى على نفسه و ارتمى على أشواك القهر....

التفت بإشفاق إلى الجاكت الملقى بجواره، والجروح التي تمزق أكمامه، يكاد الجاكت أن ينزف دماً، راح يتمتم كأنه يخاطبه "لا مجال للانتقام فقد انتهى الأمر وتم الصلح...."

فجأة رن عليه أخوه الأصغر، أخبره بأنه قادم لزيارته، وكأنه شعر أنه بحاجة لمن يسانده في معركته، وخوفاً من افتضاح أمره أمام أخيه، سارع بشراء كيس قمامة أسود كبير، رفع الجاكت الممزق، فتش جيوبه فلم يجد شيئاً، وضعه في كيس القمامة كأنه يضعه في كفن. حمله كأنه يحمل نعشاً ويسير في جنازته وحده، نظر إليه في الكيس الأسود نظرة أخيرة قبل أن يواريه في صندوق القمامة وهو يكاد يذرف دموع الفراق وكأنه يدفن عزيزاً...

اضطر لشراء جاكت آخر يقيه من برد الشتاء...

في الصباح وصل أخوه، عندما رآه يرتدي معطفاً جديداً، نظر إليه وسأله عن ثمنه، وفي عينيه فرحة لا تخطؤها عين. أخيراً سيفوز بالجاكت القديم.....

❊❊❊❊❊

خاطرة:مملكة غابرة

فايزة أحمد

هنا في مملكة غابرة... إرم

أبعث من جديد... لكن المدينة خاوية يسكنها الصمت... و يسكنني صوتك الطنين

بحثت في كل الدروب... ولم أجدك

لكن طيفك... محض ذئب لعين

حكاياك... كلماتك هي كل ذكراك و دثاري في تلك الوحشة و ذلك الزمن العربيد

لكنها تتحول في ارض إرم إلى ألسنة ثعابين

تعتصرني... طيفك يهاجمني... يحميني... أو يواريني... . تداخلت كل الخيوط... كنسيج من مغزل ألم و بخيط أنين و انا اغزله... و دمائي صبغ قاني... يتحول بين الحين و بين الحين... يهجر كل الألوان بين الدهشة و بين الخون... إرم... فلتهجرني انت... أو يهجرني الطيف...

*****